"حل قضية الجبر والاختيار وقضايا أخرى"

obeikan.com

الكتاب: حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى
المؤلف: وائل المرعشلي

الطبعة الأولى: يونيو 2015
رقم الإيداع: 11005/ 2015
الترقيم الدولي: 978-977-6445-35-2

إشراف عام: آية عفيفي
مراجعة لغوية: حسين محمد
غلاف: Niledesign

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : 5 برج متوسط - ابراج عثمان- كورنيش المعادي- القاهرة
هاتف : 01002052266
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikan.com

حل قضية الجبر والأختيار وقضايا آخرى

تأليف: وائل المرعشلي

دار الكتب
Daralkotob

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى شباب الجيل الجديد الذين أتمنى أن يكون حظهم أوفر من حظي وألا يقع لهم ما وقع لي من ألم.

الى شباب الجيل...

وإلى أولاد أخويَّ إسلام وعمر وحلا المرعشلي.

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.. فإن مسألة القدر شغلتني منذ صباي، وقد توصلت -في حبوة على طريق حل هذه القضية- لفكرة أو نظرية[1] وجدتها مقنعةً بالنسبة لي، وأتمنى أن تكون مقنعةً بالنسبة لغيري أيضًا، وأسميتها: نظرية الأسباب والدوافع، وتفترض هذه النظرية أنَّ البشر يتكونون من دوافع وأسباب، دوافع الأعمال وأسباب تحقق هذه الأعمال، وأنَّ الاختلاف بين إنسان وآخر هو فقط في دوافع العمل وفي الأسباب المتاحة لإنجاز هذا العمل، ولم أتناول في كتابي المتواضع هذا المجهودات السابقة على مر العصور لحل هذه القضية؛ لثلاثة أسباب: الأول أن هناك كتبًا عديدةً تناولت هذه المجهودات باستفاضة؛ فأحببت أن يقتصر كتابي هذا على الجديد فقط الذي أضفته حول هذه القضية، والسبب الثاني: أنني أحببت أيضًا أن يقتصر كتابي على رؤيتي الشخصية فقط؛ حتى يكون كتابي صغيرًا؛ ليقرأه أكبر عدد من الناس، ولا يأخذ وقتًا طويلًا في قراءته.

السبب الأخير: أن تناول الجهود السابقة لحل هذه القضية يستلزم التعرض لمصطلحات فلسفية معقدة، ويتطلب وجود خلفية ثقافية كبيرة ودراية بالفرق الإسلامية، وهي أشياء غير متاحة للقارئ العادي، وأنا أَوَدُّ أن تصل فكرتي لأكبر عدد من الناس ممن يتساءلون بالسؤال الشهير: هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر؟ وقد حرصت -أخي القارئ- في كتابي هذا ألا أتعرض لمصطلحات غامضة تعرضت لها الفرق الاسلامية من قبل، مثل: القدرة والمشيئة، والإرادة وخلق

---

(1) انظر معنى (نظرية) في تمهيد النظرية في الباب الأول من هذا الكتاب.

الأفعال، والمراد لذاته والمراد لغيره، ووحدة الوجود، ومقدور الله ومقدور العبد، وممكن الوجود، والإرادة الكلية والإرادة الجزئية، والأمر بين الأمرين، وإرادة كونية وإرادة شرعية، وقدرة قديمة وقدرة حادثة.. إلخ. ليس لأن التعرض لهذه المصطلحات قد يؤدي للانحراف الفكري والعقائدي -دون أن يشعر صاحبه- فحسب، ولكن أيضًا -وهو الأهم- لأن استعمال هذه المصطلحات لا يحل معضلة القدر، بل يزيدها غموضًا وإبهامًا، وأنا لا أَدَّعي بنظرية الأسباب والدوافع التي ذكرتها في هذا الكتاب أنني توصلت لحقيقة القدر؛حيث يبقى القدر سر الله، وما جئت به في هذا الكتاب ما هو إلا مجموعة مبادئ فرضها عليَّ وألزمني بها واقع الناس من ترك للأسباب وتواكل؛ احتجاجًا بالقدر، فحاولت من خلال فكرتي المتواضعة رسم ملامح رئيسة يستند إليها فكر المسلم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن القدر. والواقع أن مسألة القدر مسألة شائكة ومعقدة للغاية، عجزت عقول البشر عن الإحاطة بكل جوانبها على مر الأزمان والعصور.

إن أسئلةً عديدةً مازالت مجهولة الإجابة، وأود أن أقول إن السبب الرئيس في كتابة هذا الكتاب أنني في نشأتي كنت أجهل كثيرًا من الأمور والخبرات في الحياة، وهذا الجهل سبب لي سلسلةً من الصدمات النفسية العنيفة -لحكمة عند الله- والتي عانيت منها كثيرًا، فكنت أشبه بمن أُدْخِلَ في معركة غير متكافئة بدون أسلحة، أو بمن أُسْقِطَ في بحر وهو لا يجيد السباحة، وما أقسى بحار الحياة، وما أصعب تلاطم أمواجها على من لم يتعلم العوم، والواقع أنني لم أبتدئ فهم الحياة وفك شفراتها إلا مؤخرًا، بعد مرور ما يقرب من أربعة عقود من عمري، ولا أدعي أنني نجحت في ذلك تمامًا، ويبدو أنني استغرقت وقتًا طويلًا في ذلك، ولكني أحببت أن أنقل خبرتي للشباب، متصورًا أن ذلك سيوفر عليهم

عقودًا من الزمن استغرقتها في محاولة تعلم السباحة في بحور الحياة، إنه الكتاب الذي كنت أتمنى قراءته في بداية نشأتي، وكان سيكون فارقًا كبيرًا معي إن كنت قرأته وقتها وهدفي الأساسي من ذلك هو تجنيب الشباب نفس آلامي وتحذيرهم من الوقوع في نفس أخطائي، وقد ذكرت في كتابي هذا بعد عرضي لنظرية الأسباب والدوافع بعض تطبيقات للنظرية، مثل: الصلاة والمذاكرة والزواج، كما تناولت قضايا أخرى مثل قضية تقييم الشخصية البشرية، ثم - ولمزيد من الحرص على الشباب، وحتى أكمل لهم كل ما رأيت أن من شأنه التسبب في آلامهم إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة- تكلمت عن أخطاء شائعة حتى بين المصلين قد تكون سببًا في دخول أحدنا النار لا قدر الله؛ وذلك حتى يكون كتابي جامعًا لكل الأخطاء التي رأيتها تقع من الشباب وقد تسبب لهم الألم إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

كثيرًا ما يُسأل الأعلام: لو عاد بك الزمان هل ستختار نفس خطوط حياتك؟ وأغلبهم يقول: إنه كان سيختار نفس الاختيارات، وهذا لا ينطبق عليَّ؛ لأنني مع تقدم عمري عرفت أمورًا كانت غائبةً عني؛ لحكمة عند الله -سبحانه وتعالى-، وإذا كنت قد عرفتها منذ بداية حياتي؛ لاختلف الأمر كثيرًا معي، فمثلًا كنت سأتجنب صدماتٍ عنيفةً وقعت لي، فهذا الكتاب أساسي لكل شاب في بداية حياته؛ لأنه يكشف له أمورًا هامة وأساسية في الحياة، وأرجو أن يستفيد الشباب والمجتمع من هذا الكتاب؛ فلا يصطدموا بالواقع ولا بالناس، وألا يقع لهم ما وقع لي من ألم.

obeikan.com

الباب الأول

"نظرية الأسباب والدوافع"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(تمهيد النظرية)

من المفروغ منه أن الإنسان ليس بمُجْبَرٍ تمامًا وليس بمُخَيَّر تمامًا؛ لأنه لو كان مُجْبَرًا تمامًا -سواءً على الطاعة أو المعصية- لما استحق ثوابًا أو عقابًا، ولو كان مُخَيَّرًا تمامًا؛ لأصبحنا كلنا ملوكًا وأصحاءَ؛ لأنه لا أحد يريد لنفسه الفقر أو المرض[1].

ولا شك أن أقدار الإنسان مكتوبة من قبل أن يولد، ولكن هل معنى هذا أنه مجبر وليس له دور، وما هي أنواع هذه الأقدار المكتوبة[2]. إنَّ العقل والواقع يدلان على أن بذل الأسباب من العمل والدعاء هام، وهو وسيلة الإنسان وطريقه لتحقيق ما يريده، مما دفعني لافتراضٍ -في النظرية- أن التقدير هو تقدير أسباب في المقام الأول، وعلى الإنسان الأخذ بهذه الأسباب كما سترى في الفصل التالي لهذا الفصل.

إن الإنسان -وإن كان غير مُسَيَّر- فهو مُيَسَّر والتيسير هو تقدير الأسباب.

---

(1) إلا الحكماء؛ حيث ورد في الحديث الشريف أن البلاء الذي يصيب الإنسان يدل على أفضلية عند الله (تعالى). انظر الفصل الرابع من هذا الباب تحت عنوان (أساس الابتلاء).

(2) انظر أنواع القدر في الصفحة التالية لهذه الصفحة ص(15)

obeikan.com

"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ الضُّبَعِيِّ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قِيلَ فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: "كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ".[1]

كما افترضت في تلك النظرية -كما سترى في الفصل التالي- مجموعةً أخرى من الفروض، قائمةً على أن أي عمل يتم على ثلاث خطوات: الأولى هي تسبيب الأسباب وهي بيد الله (عز وجل)، والثانية: هي الأخذ بالأسباب المتاحة وهي تتم بواسطة العباد، والثالثة والأخيرة: هي إنتاج النتائج وهي بيد الله (تعالى) أيضًا.

إنَّ الاختلاف بين كلامي وفكرتي وكلام كثير ممن قبلي يكمن في أن كثير ممن قبلي قسموا الأفعال إلى اختيارية للعبد وجبرية من الله، بينما تقوم فكرتي على أن قدرة الله تدخل في كل الأفعال من جانب تسبيب أسبابها ومن جانب إنتاج نتائجها، وأن ما يحدث من جانب العبد هو الأخذ بالأسباب المتاحة.

سُئِل علي بن أبى طالب (رضي الله عنه) عن القدر، فقال ما معناه: "والله ما هبطنا واديًا ولا علونا جبلًا إلا بقضاء الله وقدره"[2]. أي أن كل عمل يتم بقضاء الله وقدره، وهذا صحيح؛ لأن كل عمل يحتاج إلى تسبيب أسباب، والأسباب بيد الله، إذن فكل عمل يتم بقضاء الله وقدره.

---

(1) صحيح مسلم – باب القدر (6907)

(2)الجبر والاختيار في الفكر الاسلامي – د/ أشرف حافظ (ص90).

أنواع القدر (حتميات وأسباب وقوانين)

ويتساءل الكثير من الناس: إذا كان قدر الإنسان مكتوبًا، فلماذا العمل؟ وقد توصلت لحل[1] لهذه الإشكالية، وهو أن القدر المكتوب ليس كله في صورة حتميات، فمثلًا هذا للجنة وذاك للنار جَبْرًا، ولَكِنَّ بعض هذه الأقدار أسباب، وبعضها يكتبها الله في صورة قوانين مشروطة لجميع الاحتمالات الممكنة للأخذ بالأسباب، وسوف أضرب لكم مثلًا بسيطًا، إنه في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هُزِمَ المسلمون في غزوة (أُحُد)، وليس من العدل أن يكتب الله الهزيمة على المؤمنين، ولكني أتصور أن ما كتبه الله (تعالى) ليس الانتصار أو الهزيمة، ولكنه (سبحانه وتعالى) كتب قانونًا مشروطًا: النصر مشروط بالتزام الجنود بأوامر قائدهم، والهزيمة مشروطة بعدم التزامهم.

وهكذا أقدار الله ليست كلها تحصيلات حاصلة وحتمية، ولكن بعضها أسباب ينبغي على الإنسان الأخذ بها، وبعضها قوانين متعددة الوجوه والاحتمالات، ومشروطة بالأخذ بالأسباب ومن القوانين الإلهية ما ورد في الحديث:

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الضُّرَيْسِ عَنْ أَبِي مَوْدُودٍ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ سَلْمَانَ،

---

(1) أكرر ما ذكرته في مقدمة هذا الكتاب أنني لا أدعي بنظرية الأسباب والدوافع - التي ذكرتها- أنني توصلت لحقيقة القدر؛ حيث يبقى القدر سر الله، وما جئت به في هذا الكتاب ما هو إلا مجموعة مبادئ فرضها عليَّ وألزمني بها واقع الناس من ترك للأسباب وتواكل؛ احتجاجًا بالقدر وقولًا بالجبر، فحاولت من خلال فكرتي المتواضعة رسم ملامح رئيسة يستند إليها فكر المسلم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن القدر، لهذا فما ذكرته هنا من أنواع للقدر ما هو إلا استنتاج من عندي للفت انتباه العلماء والمجتهدين إلى حل للرد على القائلين بالجبر.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ".[1]

حيث كتب الله قانونًا -كبابٍ من أبواب القدر- لزيادة العمر مشروطًا بالبِرّ، وفي الواقع فإن هذا الحل القائل بإنه قد يكون القدر في شكل قانون وليس كل القدر حتميات، هذا الحل ينجح في تفسير كثير من الأحاديث الشريفة التي وردت في القدر وتحتج بها بعض الفرق الإسلامية القائلة بالجبر، منها حديث آدم (عليه السلام) لما حاجَّ موسى (عليه السلام):

"حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الذي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الذي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ"[2].

فالقائلين بالجبر احتجوا بهذا الحديث، وقالوا إن الله كتب على آدم الخروج من الجنة جبرًا، والحل -الذي يؤدي إليه الفرض الذي اقترحته- أن الله بالفعل كتب على آدم قدرًا، ولكنه ليس في صورة شيء حتمي وجبري، ولكن في صورة

قانون، وهو أن ما كتبه الله -سبحانه وتعالى- لآدم (عليه السلام) قبل أن يُخْلَق هو قانون بالبقاء في الجنة في حال طاعته لله، وبالخروج من الجنة في حال أكله

(1) سنن الترمذي – القدر (2289).
(2) صحيح البخاري – أحاديث الأنبياء (3409).

من الشجرة وليس أمرًا جبريًا، وسبب رجوح حجة آدم على موسى (عليهما السلام) أن ما قاله موسى (عليه السلام) اعتراض على قضاء الله؛ لأن قضاء الله وقدره داخل في كل الأفعال كما قلت في التمهيد.

ومن القوانين التي كتبها الله أيضًا ما ورد في الحديث التالي: "حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[1] وهو قانون ببسط الرزق عندما يصل الإنسان رحمه.

ومن القوانين أيضًا قانون السعادة والشقاء، كما ورد في الحديث التالي: "حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَنْبَأَنِي سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ بِرِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ -أَوِ الرَّجُلَ- يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا"[2] فورد في هذا الحديث أن الإنسان يُكْتَب له شقي أو سعيد حسب قانون، أي شقي إذا عصى الله وفعل كذا وكذا، وسعيد إذا أطاعه وفعل كذا

---

(1) صحيح البخاري- الأدب (5985).
(2) صحيح البخاري -القدر- (6594)

وكذا، خلافًا لبعض شروحات هذا الحديث التي قالت إن المعنى أنه إما يختم عليه شقي وإما يختم عليه سعيد جبرًا، وأرى عدم صحة ذلك؛ لأنه لو كان المعنى كذلك لكان اللفظ المستخدم في متن الحديث (يؤمر بخاتمته) وليس (شقي أو سعيد) مثلما قال: (يؤمر برزقه) ولم يقل (غني أو فقير).

obeikan.com

معنى نظرية:

جاء في (موسوعة القواعد الفقهية):[1]

إن كلمة (نظرية) بالمعنى المراد لها عند من يطلقونها هي كلمة مستحدثة منقولة عن مصطلحات القانونيين الوضعيين الغربيين، ولم تتطلق عند العلماء المسلمين على هذا المعنى الحادث، قال القاضي الباقلاني:النظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن. و المراد بالفكر انتقال النفس في المعاني انتقالًا بالقصد.

وقال في القاموس الوسيط: النظرية: قضية تثبت ببرهان[2] وقالوا: نظرية المعرفة: البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع أو بين العارف و المعروف، وفي وسائل المعرفة فطرية أو مكتسبة. نظريات. وقالو في اللغة أيضًا: الأمر النظري: هو ما كان وسائل بحثة الفكر والتخيل.

و النظري عند العلماء المسلمين هو ما كان يحتاج الى بحث ونظر وفكر، ويقابله الضروري وهو مالا يحتاج إلى ذلك سواء التصور أو التصديق.

---

(1) (موسوعة القواعد الفقهية) القسم الأول المجلد الأول (ص99).

(2) القاموس الوسيط مادة: نظر.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الثاني)

(فروض النظرية)

تفترض النظرية مجموعة فروض قائمة على أن أي عمل يتكون من أسباب ودوافع، وأن الاختلاف بين الأفراد وبعضهم هو اختلاف في الأسباب والدوافع فقط، أي في الأسباب المتاحة لهم ودوافع استخدامهم لهذه الأسباب، وقد خصصت بابين مستقلين للأسباب وللدوافع في هذا الكتاب، وسأقوم بشرح فكرتي من خلال ستة فروض.

<u>الفرض الأول</u>: "التقدير هو تقدير أسباب في المقام الأول، وعلى الإنسان الأخذ بهذه الأسباب".

قال الشيخ عطية صقر (رحمه الله):[1] "إن القدر نوعان: قدر مُبْرَم، وقَدَرٌ مُعَلَّق". ويُفْهَم من كلامه أن القدر المعلق يحتاج أن تبذل سببه، أي أن التقدير تقدير أسباب في المقام الأول، ونحن إذا افترضنا أن مزارعًا لديه أسباب زراعة أرضه من ماء وبذور وسماد.. إلخ، هل ذلك يعني أن أرضه ستثمر دون دور منه؟ والطالب إذا توفرت له الكتب والأدوات والوقت.. إلخ، هل يعني ذلك أن المعلومات ستدخل عقله تلقائيًا دون استذكار منه.

---

(1) كتاب (الفتاوى من أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام) - الشيخ عطية صقر - الجزء الأول- ص (20).

يجب أن يعلم كل إنسان أن التقدير تقدير أسباب في المقام الأول، وأن الأسباب وحدها لا تكفي، إنما يجب عليه الأخذ بهذه الأسباب.

<u>الفرض الثاني:</u> " الإنسان مُسَيَّر في الحتميات وفي القوانين الإلهية التي تنظم الحياة بين البشر، وفي مقادير الأسباب[1] المتاحة له، وإذا توفرت للإنسان أسباب أي عمل يكون مُخَيَّرًا فيه في حدود هذه الأسباب".

ومن الأقدار الحتمية ما لا يد للإنسان فيه، مثل: زمان ومكان ولادته وجنسه ونسبه وأهله وجيرانه وشكله وصحته وابتلاءاته ورزقه والناس الذين يقابلهم في حياته اليومية[2]، ومن القوانين الإلهية[3] أن البِرَّ يزيد في العمر، ومن مقادير الأسباب أن المزارع مثلًا مُسَيَّر في أنواع البذور الصالحة لأرضه أو المتوفرة في السوق وأنواع الآلات الزراعية المتوفرة له، باعتبار أن البذور والآلات أسباب بالنسبة للمزارع.. إلخ. لا شك أن الإنسان مُسَيَّر في كم وكيف الأسباب (مقاديرها) المتاحة له.

<u>الفرض الثالث:</u> "الإنسان مُخَيَّر في الأخذ بالأسباب المتاحة له، ومُحَاسَب أمام الله على قَدْر اختياره".

---

(1) انظر: أنواع الأسباب في الفصل الأول من الباب الثاني - الأسباب.

(2) فنحن لا ننتقي مَنْ يسيرون معنا في الشارع.. إلخ، ويطلق الناس على طريقة لقاء الناس ببعضهم في الحياة الدنيا كلمة صدفة، ولكن الصدفة عند العبد حكمة عند الرب.

(3) انظر نماذج للقوانين الإلهية في الفصل السابق تحت عنوان (أنواع القدر).

بعد تَوَفُّر الأسباب للمزارع من ماء وبذور وآلات وسماد.. إلخ، له أن يستخدم هذه الأسباب أو بعضها، أو يترك الأرض بدون زراعة.

والدليل أن الحساب أمام الله يكون على قَدْر الاختيار هو قول الله (عز وجل): {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} "سورة البقرة الآية 286"

ومن الجدير بالذكر أن قرار الفرد المتعلق بالأخذ بالأسباب مرتبط بالدافع الذي في داخله، وهل هو يريد فعل الشيء المُخَيَّر فيه والمتاح له أم لا كما ستقرأ في الفرض السادس.

<u>الفرض الرابع</u>: "الإنسان مُسَيَّر في النتائج النهائية".

من الممكن أن يزرع الزارع؛ فيصيب الزرع آفة أو سيل، ومن المحتمل أن يستذكر الطالب دروسه، وقبل الامتحان يصيبه مرض أو يتأخر عن الذهاب للامتحان.. إلخ، أي أن الإنسان مُسَيَّر في النتائج النهائية.

<u>تعريف المؤلف للتوكل في ضوء هذا الفرض:</u> هو بذل الأسباب المتاحة في طاعة الله، مع الاعتقاد أن النتائج النهائية بيد الله.

<u>الفرض الخامس</u>: "الإنسان مُسَيَّر في مقدار رزقه مُخيَّر في أسلوب وصوله لهذا الرزق، وأسلوب تصرفه فيه بعد وصوله إليه".

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفي الْحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ؛ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِي رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ". (1)

هذا هو دليل على أن الإنسان مُسَيَّر في مقدار رزقه، و دور الإنسان ينحصر في اختيار أسلوب الحصول على هذه الثروة، والذي سيختار الحصول على رزقه بطريقة غير شرعية لو انتظر قليلًا لوجد فرصة سفر مثلًا، أو ميراث، أو أي طريقة شرعية أخرى للحصول على هذه الثروة نفسها؛ لأن الثروة والمناصب من الأرزاق، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها بطريقة أو بأخرى، وإذا لم يكن مكتوبًا للإنسان هذه الثروة فلن يحصل عليها حتى بالطرق غير الشرعية.

أما دليل أن الإنسان مُخَيَّر في أسلوب وصوله لهذا الرزق، وأسلوب تصرفه فيه بعد وصوله إليه الحديث التالي:

"حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ أَبُو مِحْصَنٍ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ الرَّحَبِيُّ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟". (2)

---

(1) سنن ابن ماجة - باب التجارات - (2227).

(2) سنن الترمذي – باب صفة القيامة (2601).

وكون الإنسان محاسب على مصدر رزقه وطريقة إنفاقه لهذا الرزق دليل على أنه مُخَيَّر فيهما؛ إذ كيف يُحاسَب الإنسان على شيء مجبر عليه؟ وطبيعي أيضًا أن يعرف جوهر الإنسان مما له دور فيه، فتحديد جوهر الإنسان لا يكون بمعرفة مقدار ثروته ومنصبه، ولكن بشيئين وحيدين هما: أسلوب حصوله عليهما، وأسلوب تصرفه فيهما وتعاونه مع الآخرين فيهما. ووصول الإنسان لمنصب كبير هو من أقدار الإنسان ومن رزق الله له ومن فضله عليه، ولكن دور الإنسان ينحصر في اختيار أسلوب وصوله لهذا المنصب، هل هو بالمجهود؟ أم الواسطة؟ أم الرشوة؟ لكن المنصب نفسه من قَدَر الإنسان الذي كتبه الله له، ولو اجتمع الجن والإنس على أن يمنعوه عنه لما استطاعوا ذلك، أما إذا كان هذا المنصب غير مقدر للإنسان، فحتى الواسطة والرشوة لن تجديا في الحصول على ما هو غير مقسوم.

أيضًا حصول الإنسان على ثروة كبيرة هو من أقدار الإنسان ومن رزق الله الذي كتبه له، ولن تموت نفسه حتى يستوفيه.

<u>الفرض السادس</u>: "عندما يكون الإنسان مُخَيَّرًا في حدث (أي توفرت أسبابه) يتوقف أداؤه له على قوة الدافع إلى إجراء هذا الحدث وعلى شرارة (قرار) بدء العمل وفورية العمل له".

فالشعب المصري كان لديه الدافع للحصول على حريته، ولكن كان ينقصه الشرارة أو القرار، وعندما تولد القرار عن طريق أحد مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت تمت له الثورة إلهامًا من الشعب التونسي، الذي بدوره تولد لديه القرار بإتمام ثورته من الشرارة التي أطلقتها واقعة إشعال مواطن النار في جسده؛ فجعلت الشعب يقرر إتمام الثورة.

وعندما تتوفر الأسباب والدوافع اللازمة للفعل ويتأخر القرار يمكن توليده بطريقتين: هما التشجيع والتخطيط كما سترى في نهاية الفصل الرابع من هذا الباب تحت عنوان: ماذا بعد الأسباب والدوافع؟ مع ملاحظة أن فورية العمل قد يعوقها الكسل وتضييع الوقت في التوافه، فيجب على الإنسان إذا اكتملت له أسباب عمل ما أو معظمها، وكان لديه دافع مشروع للقيام بهذا العمل، يجب عليه فورية البدء في هذا العمل، وعدم الاستجابة للكسل ومُضَيِّعَات الوقت.

<u>إجابة السؤال الشهير: هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر؟</u>

"الإنسان مُخَيَّر في حدود الأسباب والبدائل المتاحة له طبقًا لدوافع العمل لديه".

<u>طريقة معرفة أن الإنسان مُخَيَّر في أمر من الأمور:</u>

توجد طريقة لمعرفة هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر في أمر من الأمور، وهي أنه إذا كان لدى الإنسان بدائل متاحة وممكنة ومعلومة له في هذا الأمر كان الإنسان مُخَيَّرًا فيه وفي حدود هذه البدائل فقط وليس تخييرًا كاملًا، ولا يعتبر الفرد منا مُسَيَّرًا إلا إذا كان عدم توفر البدائل والعلم بها بغير تقصير منه.

<u>درجات التخيير:</u>

تختلف درجات التخيير من أمر لأمر، وهي ثلاث درجات رئيسة كالتالي: تخيير مُطْلَق، وتخيير محدود واسع، وتخيير محدود ضَيِّق، والتخيير المطلق غير موجود في كل الأمور في الواقع، والتخيير المحدود الضيق يكون عندما تتاح بدائل قليلة نسبيًا، والتخيير المحدود الواسع يكون عندما تتاح بدائل عديدة،

وقد يكون الإنسان لديه خيارت محدودة عديدة في أمر وخيارات محدودة قليلة في أمر آخر.

وبتطبيق هذه القاعدة على موضوع مثل شراء سيارة، فطبقًا للقاعدة المذكورة هنا يكون الإنسان مُخَيَّرًا إذا كان لديه بدائل ممكنة ومعلومة؛ فيكون ما معه من مال يكفي لشراء سيارة واحدة على الأقل، فإذا كان ما معه من مال لا يكفي لشراء أي سيارة، عندئذ يكون صاحب المال مُسَيَّرًا في ألا يكون لديه سيارة، وإذا كان المال الذي معه يعطيه بدائل أو فرص شراء -معلومةً له- قليلةً كان لديه اختيار محدود ضيق، وإذا كان صاحب المال غنيًّا لديه فرص عديدة للاختيار من بينها، يكون لديه اختيار محدود واسع، أما إذا كان صاحب المال ملياردير‌ًا، فإن اختياره شبه كامل أي يكون مُخَيَّرًا اختيارًا مطلقًا.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الثالث)

(دروس مستفادة)

من الدروس المستفادة كما قلنا أن الأسباب وحدها لا تكفي للقيام بالأفعال، وإنما ينبغى الأخذ بهذه الأسباب.

ومن الدروس المستفادة أيضًا: من الحماقة أن تلجأ في الحصول على رزقك من طريق غير شرعي فيما هو مكتوب ومقسوم لك من قبل أن تولد، ومحجوز لك عند خزائن الرحمن، ولن تموت نفسك حتى تستوفيه، وعمومًا لا ينبغي تقديم تنازلات عن المبادئ لتحقيق هدف ما؛ لأنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، والمكتوب لك ستأخذه، وإذا كان الشيء غير مكتوب فإنك لن تحصل عليه حتى لو قدمت تنازلات، كما يجب أن تعلم أنه لا تجتمع مصلحة ومعصية في نفس الوقت -إلا في حالات الاضطرار والضرورة القصوى-[1] وطبيعي أن يكون الإنسان مسئولًا فقط عما يختاره لذلك، فالإنسان محاسب على أسلوب حصوله على المال أو المنصب أو الدرجة العلمية و أسلوب تصرفه فيهما بعد الحصول عليهما أما مقدار المال والمنصب نفسيهما فهما قدر واختبار في نفس الوقت، ويجب على الإنسان أن يكون قنوعًا ويُعَلِّمَ نفسه الرضا، ويَعْلَم أنه ليس

---

(1) حد الضرورة هو أن يكون ارتكاب المحظور أقل ضررًا من تركه.

كل ما يتمناه المرء في هذه الدنيا سوف يدركه، وأنه ليس كل ما سوف يدركه سوف يدركه بسهولة، فالأساس أنه لا راحة في الدنيا، وأنه توجد أشياء لن يحصل عليها إلا بمشقة، وتوجد أشياء لن يحصل عليها مطلقًا.

إذا كان الإنسان مُخَيَّرًا في عمل -عندما تكتمل أسبابه لديه- فذلك بالنسبة للمستقبل فقط، أما الماضي فلا يمكن تعديله أو تغييره؛ حيث يظل الإنسان مُخَيَّرًا في الحدث حتى يقع أو تنعدم أسبابه، فإذا وقع أو انعدمت أسبابه وأصبح ماضيًا؛ فإنه لم يكن ليخطئ الإنسان حدوثه أو عدم حدوثه، وقد نهانا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الاعتراض على ما أصاب الإنسان في الماضي والالتفات للمستقبل.

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي سِنَانٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- مِثْلَ ذَلِكَ.[1]

والإنسان مُخَيَّر دائمًا في النية القلبية، وفي الاهتمام، وفي الإخلاص، وفي الأخلاق.

---

(1) سنن أبي داود- السنة (4701).

(الفصل الرابع)

(تعليق على نظرية الأسباب والدوافع)

ذكرت في نظرية الأسباب والدوافع أن البشر يتكونون من دوافع ومن أسباب، دوافع الأعمال عند البشر، وأسباب تحقق هذه الأعمال، وأن الإنسان مُسَيَّر في نصيبه من الأسباب مُخَيَّر في الأخذ بها من عدمه، لَكِنَّ الدور الأكبر والأعظم بالتأكيد في تحقق الأعمال هو لتوفر الأسباب، وهي في يد الله (تعالى) يسخرها لنا (سبحانه) بكرمه وما يفعله الإنسان هو الأخذ بهذه الأسباب التي أعطاها له الله، أي استعمال هذه الأسباب في تحقيق آماله حسب دوافعه، وبدون الأسباب التي يمدنا بها الله يستحيل علينا عمل أي شيء.

الذي أريد أن أقوله لكم: إنَّ الدور الأكبر والأعظم في هذه الحياة التي نعيشها يقوم به الله -سبحانه وتعالى- والفضل لما نحن فيه الآن وما سيكون لله وحده، وبدونه يستحيل على الإنسان فعل شيء؛ لأن الأسباب بيده (تعالى) وذَكَرتُ أيضًا في تلك النظرية أن النتائج النهائية للأخذ بالأسباب بيد الله -تعالى- أيضًا. فمن الممكن أن يأخذ الإنسان بالأسباب كأن يزرع الزارع فيصيب الزرع آفة أو سيل.. إلخ؛ فتكون نتيجة الزرع لا شيء، و من الجدير بالذكر أن أجر الإنسان على عمله يأخذه على دوره فيه، وهو السعي بالأخذ بالأسباب، والدعاء حسب دافعه لهذا العمل (نيته)، وصلاح الدافع يكون بإخلاص النية لله -تعالى-، وحب العمل ابتغاء وجهه -تعالى-، وإذا قام اثنان بنفس الفعل يكون الفارق

بينهما في الدافع لهذا العمل، ولذا فالمصلون مثلًا ليسوا سواءً أمام الله، وإنما بحسب الدافع الذي لا يعلمه إلا الله.

نصيبك مخبأ في سعيك:

كتب الله -سبحانه وتعالى- لكل إنسان نصيبه، ورزقه ولكنه قدر معلق في سعيه ويمكننا تقريب الصورة في مثال، فهب أنك تريد إعطاء شخص شيئًا ما، فيجب على هذا الشخص أن يفتح يده ليتسلم فيها هذا الشيء، كذلك رزق الإنسان يجب أن يسعى ليحصل عليه، والسعي للمال يكون بالعمل، وإذا كان المال موجودًا فيجب أن يسعى صاحب المال للحفاظ عليه، ومثل الرزق أي شئ تريد أن تحصل عليه، فالعلم مثلًا يجب أن تسعى له أيضًا بالذهاب للمدارس أو المعاهد العلمية وشراء الكتب والأدوات.. إلخ، فمن خلال سعيك فقط ستحصل على نصيبك من المال والعلم وأي شيء تريد أن تحصل عليه، فعليك -أخي القارئ- أن تقوم بتحديد أهدافك الرئيسة الممكنة، وتحديد وسائل سعيك لتحقيق هذه الأهداف، وستجد رزقك في سعيك -إن شاء الله-، بعبارة أخرى: افتح يديك ليعطيك الله.

لماذا الخير؟ ولماذا الشر؟

طبقًا لما ذكرت في نظرية الأسباب والدوافع: يُسَخِّر الله لنا أسبابًا من أسباب فعل الخير وأسبابًا من أسباب فعل الشر؛ اختبارًا لنا لمعرفة هل سنأخذ بأسباب الخير أم بأسباب الشر؟ وهذا يُفْهَم من تفسير الآية التالية: قال -تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (سورة الأنبياء آية 35)

"قال ابن عباس:[1] معناها بالشدة والرخاء، وبالصحة والسقم، وبالغنى والفقر وبالحلال والحرام". والوصول للحلال يكون بالأخذ بأسبابه، وللحرام يكون بالأخذ بأسبابه، وبالتالي يكون المعنى: نختبركم بأسباب الخير وبأسباب الشر لنرى بأيهما ستأخذوا.

أساس الابتلاء:

الابتلاء بالخير أو بالشر يكون على حسب معدن الإنسان ودوافعه، وبالابتلاء الذي يقيس ذلك المعدن وتلك الدوافع، وقد ورد في الحديث الشريف: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ -يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ- أَنْبَأَنَا هِشَامٌ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، حَتَّى يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى قَدْرِ دينه ذَاكَ، فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ -وَقَالَ مَرَّةً أَشَدُّ بَلاَءً- وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ -وَقَالَ مَرَّةً عَلَى حَسَبِ دِينِهِ- قَالَ: فَمَا تَبْرَحُ الْبَلاَيَا عَنِ الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الأَرْضِ -يَعْنِي- وَمَا إِنْ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ".[2]

ويمكننا لتقريب الصورة تشبيه قدر أو ابتلاء الإنسان بمسابقات ألعاب القوى، يُخْتَبَر كُلُّ مُتَسَابِقٍ حسب وزنه أو مستواه، ولا يصح أن يحتج متسابق بأحقيته في مستوى أعلى من مستواه الحالي، واجتيازه لاختبار مستوى معين يعني بديهيًا أنه قادر على اجتياز المستويات الأدنى من مستواه، وعدم تحقيقه لأعلى رقم في مستواه يعنى بديهيًا أيضًا أنه غير قادر على اجتياز أي مستوى أعلى من مستواه.

(1) مختصر ابن كثير – الجزء الثاني - ص (507).

(2) مسند أحمد- مسند سعد بن أبي وقاص (1575).

كذلك قدر الإنسان مثل المسابقة، ولكنها مسابقة شاملة، ولا يصح لك أن تعترض على امتحانك؛ لأنه على قدر مستواك، ويبرز خصالك ودوافعك،كل إنسان له باقة من النِّعَم والنِّقَم والأسباب التي تقيس معدنه وتبرز خصاله ودوافعه، ونتيجة هذا الاختبار تعكس مستواه ومعدنه الحقيقي، وكل خطوة يخطوها في حياته سوف تشهد له أو عليه وتحدد مستواه، ولن يستطيع عندئذٍ إنكاره؛ لأنه موثق بأعماله التي سُجِّلَت له أو عليه بالزمان والمكان بدقة تفوق الوصف.

مثال آخر لتقريب الصورة: نفترض أننا بذور فواكه، أحدنا بذرة موز، وثان بذرة برتقال.. إلخ، ووَضَعَنا الله -تعالى- كل في تربة معينة مختلفة عن الآخر (التربة يقابلها في مثالنا الظروف أو الأسباب التي يوضع فيها الإنسان)، ومثلما يضع كل مزارع كل بذرة في التربة المناسبة لها، فإن الله يضعنا في الظروف والأسباب المناسبة للنمو لكل إنسان، وبعد مرور فترة نمو كل بذرة وإثمار شجرتها، لا تستطيع ثمرة الموز أن تنفي أن بذرتها بذرة موز؛ لأنها أثمرت موزًا، كما لا تستطيع الاعتراض على نوعية التربة التي وضعت فيها وإلا لما أثمرت أصلًا.

<u>ملحوظة:</u>

ليس من الضروري أن يبقى الإنسان على قيد الحياة لعمر طويل حتى يعرف معدنه؛ فالثمار من الممكن التنبؤ بنوعيتها في بداية نموها وقبل أن تثمر شجرتها.

وقد ورد في الحديث: "حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدَ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ".[1]

متى يُحتجّ بالقدر؟

نحن نحتج بكلمة قضاء وقدر كثيرًا إلى درجة أن معظم أخطائنا ننسبها للقضاء والقدر، أي فشل أو مصيبة نُصَاب بها نحتج بأنها قضاء وقدر، فهل هذا صحيح؟ في الواقع لا، صحيح أن كل شيء قدر، ولكن هناك قدر حتمي وقدر مترتب على أفعال الإنسان وعدم أخذه بالأسباب، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا بعد بذل الوسع في الأخذ بالأسباب، فالطالب في المدرسة أو الكلية إذا أخفق في الامتحان فلا يحق له الاحتجاج بالقدر إلا إذا بذل وسعه في المذاكرة وحضور المحاضرات -طبعًا إذا كانت ظروفه مهيأةً لذلك- ثم أصابه مرض أو ظروف طارئة جعلته يخفق في الامتحان، وقائد السيارة إذا أصابه حادث في الطريق لا يصح أن يحتج بالقدر، إلا إذا بذل وسعه في الالتزام بالسرعة المسموحة وإرشادات وعلامات المرور. أما إذا وجد منه تقصير وعدم التزام كان الحادث مترتبًا على تقصيره، ولا يحق له الاحتجاج بالقضاء والقدر، والأمثلة كثيرة، لكن المبدأ واحد: وهو أنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر إلا مع بذل الوسع.

لذلك فالفشل نوعان: نوع مع بذل الوسع والأخذ بالأسباب المتاحة ولكن الأسباب ناقصة فهو فشل معذور، والثاني مع عدم الأخذ بالأسباب ودون بذل الوسع فهو فشل غير معذور.

---

(1) صحيح مسلم – القدر (6929).

مفهوم الحرية:

طبقًا لنظرية الأسباب والدوافع موضوع هذا الكتاب، يمكننا تعريف الحرية في القيام بعمل ما كالتالي:

"الحرية في القيام بعمل ما هي إلا توافر الأسباب[1] اللازمة للقيام به ".

وكل إنسان له مقدار محدد من الأسباب[2] ومن الحرية -تركيبة معينة- مُسَيَّر فيهما،[3] والإنسان يحسن أو يسيء استعمال هذه الأسباب، وعلى قَدْر الأسباب المتاحة وحسن استعمالها فيما يرضي الله يكون الحساب أمام الله --تعالى-، قال -تعالى-:{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }(سورة البقرة الآية 286)

وعلى هذا يوجد نوعان من الحرية: فعلية وشرعية، الفعلية بقدر المتاح من الأسباب، بغض النظر عن حكم الشرع في الفعل، والشرعية بقدر المشروع من الأفعال، أي المباح من الأفعال، فمثلًا الإنسان له حرية فعلية في الانتحار لأن أسباب الانتحار متاحة للجميع، بتناول مادة سمية أو السقوط من مكان مرتفع.. إلخ، ولكن الإنسان ليس لديه حرية شرعية لقتل نفسه؛ لأنه شيء مُحَرَّم في الدين، بل من الكبائر[4].

---

(1) انظر: أنواع الأسباب في الباب الثاني.

(2) المقدار الذي يقيس خصاله ويناسب مستواه كما ذكرت تحت عنوان (أساس الابتلاء) في هذا الفصل.

(3) انظر الفرض الثاني من نظرية الأسباب والدوافع في الفصل الثاني من هذا الباب.

(4) كتاب الكبائر للذهبي – الكبيرة التاسعة والعشرون.

ماذا بعد الأسباب والدوافع:

أحيانًا تكون الدوافع موجودة والأسباب شبه كاملة، ولا يتحقق العمل مع ذلك في هذه الحالة، وتبعًا للفرض السادس من فروض نظرية الأسباب والدوافع التي ذكرتها في الفصل الثاني من هذا الباب، ينقصنا الشرارة أو القرار، وعلى سبيل المثال: لنفرض أن شخصًا ما بدين أي عنده زيادة في الوزن، وعنده دافع لتخفيض وزنه، وهذا الشخص بجوار منزله حديقة، ولديه متسع من الوقت ليمارس رياضة المشى حول تلك الحديقة، وأسباب ممارسته لتلك الرياضة شبه كاملة، ولكنه تكاسل عن ممارسة رياضة المشي، وذات مرة كان متواجدًا بالقرب من الحديقة، وقابل أحد جيرانه في المنزل ذاهبًا إلى الحديقة؛ ليمارس رياضة المشي، فاقترح عليه جاره أن يرافقه في المشي فوافق الرجل، ثم تكرر هذا الموقف إلى أن أصبحت رياضة المشي عادةً يوميةً له، وكانت الشرارة هنا تشجيع جاره له، لذلك -أخي القارئ- إذا توافرت لك أسباب القيام بعمل فيه خير أو فيه مصلحة لك أو لغيرك، ولديك دوافع لإتمام هذا العمل ولكنك لم تشرع في القيام بهذا العمل، فاعلم أنه لا ينقصك سوى القرار أو الشرارة، فسارع بتحديد موعد قريب للشروع في هذا العمل -إن لم يكن فورًا- ولا تكسل عنه.

وكما عرفت فإن إحدى طرق توليد القرار هي التشجيع الذي يتم باختيار الصحبة الصالحة، وأيضًا إحدى هذه الطرق التخطيط وفورية البدء في الأعمال، وتَذَكَّر أن التخطيط للعمل نصف العمل، والعمل الذي تبدأ فيه يعتبر شبه منتهٍ، وإنجاز أي عمل يتم بالبدء فيه فورًا. ويجب ملاحظة أنه عند توافر الأسباب يجب على الإنسان حسن استغلالها، خصوصًا الوقت؛ لأنه لا

يُعَوَّض، فليبتعد عن مضيعات الوقت والتوافه وكل ما يعطله عن تنفيذ خطته التي وضعها لتحقيق هدفه.

وكما يكون التشجيع على الطاعة يوجد تشجيع على المعصية، ومعدن الإنسان الحقيقي يظهر في الإحجام عن المعصية حتى مع وجود تشجيع عليها، أعرف شابًا ملتزمًا، وكان متفوقًا حيث تمكن من الالتحاق بكلية من كليات القمة، تعرض هذا الشاب لسلسلة من المرض والفشل؛ حيث رسب عدة سنوات دراسية في الجامعة بسبب مرضه، وتعرض لاختبار عظيم ليس بسبب المرض والفشل، ولكن لأن المحيطين به عللوا فشله بأنه بسبب التزامه، وأنه بالعامية (مُعَقَّد)، فعرض بعضهم عليه التدخين، وفتحوا أمامه علب التبغ الخاصة بهم (سجائرهم الشخصية) وهو يرفض، وحثوه أيضًا على مصادقة الفتيات، فكان عندما تطلب فتاة هاتفه الأرضى بطريق الخطأ وتقول: فلان موجود؟ ويرد عليها (النمرة غلط) يقول له المحيطون به: (يا بني قول لها وأنا منفعش؟).

إلى غير ذلك من إغراءات رفضها كلها -بعون الله-، وصبر على المرض والفشل والإغراء، وكان هذا أعظم اختبار مَرَّ به في حياته، وقصة هذا الشاب وغيره تدل على شيء هام، وهو أن الطاعة أو المعصية قسمان: قسم أسباب، وقسم أخذ بالأسباب. فهذا الشاب توافرت له أسباب المعصية، وأيضًا التشجيع والإغراء، ولكنه لم يأخذ بهذه الأسباب، وتوافرت له أسباب الطاعة أيضًا، فاختار الطاعة وقد ساعده على مقاومة الإغراء أن لديه خلفية دينية قوية؛ لأنه قارئ جيد، ويعرف خطورة المعصية.

ويجب ملاحظة أن الشيطان لا يتأخر أبدًا في الوسوسة والتشجيع على المعصية، فعلينا الحذر من ذلك جميعًا.

(الفصل الخامس)

(الفرق بين السعي والعمل والكسب)

السعي في اللغة: العمل أو القصد،[1] ولكنني أرى أن معناه في مجال القضاء والقدر هو الأخذ بالأسباب، فإن نحن أخذنا بالأسباب فنحن سعينا، وإذا تحقق الهدف من الأخذ بالأسباب صار السعي عملًا. ففي التجارة مثلًا إذا عرض البائع سلعته فهو قد سعى للبيع، أما إذا اشترى أحد منه سلعته وقبض ثمنها -أي تحقق هدفه- فإننا نقول أنه باع.

أما الكسب في اللغة:[2] كسب شيئًا أي طلبه وربحه، وكسب الإثم أي تحَمَّله، وإذا بحثت في الكتب التي تتعلق بالفرق الإسلامية عن معنى الكسب لما وصلت لمعنى واضح وسهل الفهم، ولا سيما أن تلك الكتب شرحها معقد بالنسبة لغير المتخصصين.

وقد ترددت كثيرًا قبل كتابة هذه الفقرة لأنها تتعلق بتفسير مادة في القرآن الحكيم الذي نهينا عن تفسيره بالرأي، ولكن الذي أعرضه هنا هو لفت انتباه للعلماء والمجتهدين لتفسير لفظ الكسب، وهذا الاقتراح الشخصي يصلح استخدامه مع كل مواطن ورود لفظة الكسب في القرآن.

---

(1) معجم منجد الطلاب - ص (319).
(2) معجم منجد الطلاب - ص (641).

فإذا تأملت في استخدام كلمة الكسب في القرآن الكريم، لوجدت أنها ذكرت فيه (57) مرةً بصيغ مختلفة، تدل كلها على معنى لفظي واحد هو: (<u>التسبب في حدوث أو حصول شيء</u>)، على سبيل المثال:

{وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ}، (وويل لهم مما يتسببون في حدوثه).

{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً}، (من تسبب في حدوث سيئة)

{ثُمّ تُوَفّىَ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ}، (ما تسببت في حدوثه).

{وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا}، (من يتسبب في حدوث إثم).

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا}، (جزاء بما تسببا في حدوثه).

{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}، (بما تسببت في حدوثه أيدي الناس).

<u>الفرق بين الفعل والكسب:</u>

الفرق أن فاعل الكسب قد لا يكون السبب الرئيس للفعل، إنما مجرد سبب مشارك من عدة أسباب، وفي التحذير من الكسب تحذير ليس من الفعل فحسب، ولكن من مجرد الاشتراك في الفعل، لذلك فالتحذير من الكسب أقوى وأخطر وأبلغ من التحذير من الفعل.

الباب الثانى

"الأسباب"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(أنواع الأسباب)

يلزم الإنسان للقيام بأي عمل ستة عناصر أو ستة أسباب مادية رئيسة، هي الأسباب اللازمة عمومًا للقيام بأي عمل ولازمة لأي عمل حتى نحكم عليه بأن الإنسان مُخَيَّر فيه.

الأسباب المادية الرئيسة:

1- الوقت: أي الوقت الكافي لإجراء الحدث، فلولم يكن الوقت كافيًا لإجراء الحدث لكان الإنسان مُسَيَّرًا وغير مسئول في عدم إجرائه للحدث، فمثلًا لو أن لديك موعد وتريد الذهاب لمكان يحتاج ساعةً باستخدام وسيلة المواصلات المتاحة لكي تصل إليه، ولكن الوقت المتاح لديك أقل من ساعة، فبالطبع أنت لن تدرك الموعد، وأنت مُسَيَّر في ذلك، وغير مسئول إلا لو كان عدم توفر الوقت ناتجًا من تقصير منك؛ فيكون عدم لحاقك بالموعد ناتجًا عن تقصيرك.
2- المكان: أي المكان اللازم لإجراء الحدث، فلو لم يكن المكان موجودًا لكان الإنسان مُسَيَّرًا وغير مسئول في عدم إجرائه للحدث، فمثلًا إذا كنت تقود سيارتك قاصدًا مكانًا معينًا، وعند وصولك للعنوان كانت الشوارع المحيطة به ممتلئة تمامًا بالسيارات، ولم تجد مكانًا قريبًا تركن فيه سيارتك، فربما تضطر إلى العودة بسيارتك؛ حتى لا تعطل الطريق، وأنت مُسَيَّر في ذلك.

obeikan.com

3- المادة: والمقصود بها المال أو الأدوات التي يحتاج إليها الحدث، فلو كانت غير كافية؛ لكان الإنسان مُسَيَّرًا في عدم إجرائه للحدث، فمثلًا إذا كان الفرد لا يملك نفقات السفر لحج بيت الله الحرام، فهو مُسَيَّر في عدم أدائه لفريضة الحج، وتسقط عنه فريضة الحج.

4- الصحة: وتنقسم إلى صحة عضوية وصحة نفسية، فلو كان فاعل الحدث مريضًا، لكان مُسَيَّرًا في عدم إجرائه للحدث، فلو فرضنا أن أحد لاعبي الكرة عليه الاشتراك في إحدى المباريات، ويوم المباراة زلقت قدمه -لا قدر الله- وأصيب في رجله في الطريق للمباراة، فإنه مُسَيَّر في عدم اشتراكه في المباراة، وغير مسئول.

5- العلم: والمقصود به العلم بتفاصيل الحدث كخطوات وكيفية حدوثه.. إلخ، فمثلًا لو كان يجهل فاعل الحدث وقت إمكان الحدث أو مكانه؛ لكان مُسَيَّرًا في عدم إجرائه للحدث، فلو فرضنا أنك تريد أن تحضر حفل زفاف أحد الأصدقاء، وحدث أن فقدت البطاقة التي تحتوى عنوان دار المناسبات يوم الزفاف وهو لا يرد على هاتفه الجوال؛ لانشغاله في الاستعداد للحفل، ولا أحد موجود في منزل عائلته لتسأله عن العنوان، فأنت مُسَيَّر في عدم حضورك حفل زفاف صديقك وغير مسئول.

6- الخلو من المعوقات (التوفيق): فلو توفرت كل العناصر اللازمة لحدوث الحدث، ولكن صاحب الحدث معوقات أو مشاكل خارجة عن إرادة الإنسان، أو تلاشى أحد العناصر التي كانت متوفرة، لكان الإنسان مُسَيَّرًا في عدم إجراء الحدث.

ويُعَبِّر الناس عن مقدار الأسباب المادية بكلمة "حَظّ" فيقصدون بالإنسان المحظوظ الذي لديه تركيبة كبيرة من الأسباب المادية في الحياة الدنيا، ولكن في الحقيقة أن الإنسان المحظوظ حقًا هو الذي يفوز برضا الله -تعالى-.

الأسباب غير المادية:

الدعاء دون تواكل:

إذا كانت بعض الأسباب المادية محجوبةً عن الإنسان، فعليه بدعاء مسبب الأسباب -سبحانه وتعالى- والقيام بصلاة الاستخارة وصلاة الحاجة والاجتهاد في محاولة توفير الأسباب المادية وبذل الوسع في ذلك، فإذا لم يستجب القدر أو تأخر في الاستجابة، فليعلم الإنسان أن في ذلك خيرٌ له، وأن ذلك لمصلحته ولحكمة حتى لو كانت غير ظاهرة إليه، ويُحْتَمَل أيضًا أن الشيء المطلوب المحجوب عن الإنسان فيه خير، ولكن الله كتبه له من طريق آخر في وقت آخر، فلا يتعجل الأمور.

أعظم سبب للمعصية:[1]

كما رأيت.. فعنصر العلم -أي العلم بتفاصيل أي عمل- هو سبب من أسباب التمكن من القيام بهذا العمل، وبالتالي فالجهل بتفاصيله يكون سببًا من أسباب الفشل فيه، فجهل الشخص بقيادة السيارة مثلًا قد يؤدي به لحادث أليم إذا قاد سيارته دون تعلم للقيادة.

وبتطبيق هذا الاستنتاج على أعمال الطاعات، يكون العلم بتفاصيل عمل من أعمال طاعة الله -عزوجل- سببًا من أسباب القيام بهذه الطاعة، وبالتالي يكون الجهل بالتفاصيل سببًا من أسباب المعصية -لا قدر الله-، فمثلًا إذا كان الإنسان لا يعلم[2] أن هجر الأقارب[3] من الكبائر؛

---

(1) انظر مثالًا لذلك في الفصل الثالث من هذا الباب.

(2) انظر: (مسئوليتنا عن أخطاء غير متعمدة) في الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.

(3) كتاب الكبائر للذهبي - الكبيرة التاسعة.

obeikan.com

فإنه سيتهاون في صلة رحمه، والواقع أن الجهل هو أعظم سبب للمعصية، سواءً جهل معذور خارج عن إرادة الإنسان، أو جهل غير معذور ناتج من تقصير من العبد. ومع الجهل يصبح العبد فريسةً سهلةً للشيطان، يفعل كل ما يطلبه منه، ويصبح ألعوبةً في يديه؛ لأنه لا يعرف أن ما يطلبه منه حرام.

قال -تعالى-: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} (سورة ق الآية 27)، وسبب الضلال هنا في الآية الجهل، وعندما يكون الإنسان جاهلًا يسهل التأثير عليه.

وتجدر الملاحظة إلى أن سعة العلم لا تضمن عدم الانحراف الفكري والعقائدي لدى الإنسان، فعند اكتمال الأسباب -ومنها العلم- يكون الفارق بين الناس هو الدافع،[1] والدافع شيء داخلي لا يمكن للغير الاطلاع عليه، ولا يطلع عليه إلا الله، ومن الممكن أن نُشَبِّه الدافع في الإنسان بعجلة القيادة في السيارة، فالسيارة قد تكون جاهزةً للمَسير -كالإنسان كامل الأسباب- ولكن قائد السيارة يخطئ أو يصيب التوجيه.

وتجدر الملاحظة أيضًا أنه إذا أراد الإنسان أن يواظب على أي عمل -ولا سيما العبادات- فعليه بالاهتمام بعنصر العلم جيدًا، فمثلًا يساعد المسلم على الحفاظ على الصلاة أن يتعلم أحكام الصلاة وخطورة تركها، وهكذا فإن من الحكمة قبل أن تأمر ابنك بالصلاة اطلب منه أن يقرأ عن الصلاة، وعن عقوبة تارك الصلاة؛ حتى يكتسب ابنك عنصر العلم، ويسهل عليه الانتظام في الصلاة.

---

(1) انظر الباب التالي لهذا الباب: (الدوافع).

هناك فرق بين العلم الخاص والعلم الكامل فقد يلتبس عليك أمر هنا وهو انه هناك علم خاص بتفاصيل العمل من مكان وزمان وكيفية حدوثه وهناك علم كامل يشمل بالاضافة للعلم الخاص العلم بحكم العمل شرعا وقانونا ويلزم لامكانية القيام بالعمل العلم الخاص بينما يلزم العلم الكامل لنحكم على الانسان بانه مخير فى عمل ما وبالتالى يحاسب عليه فالتدخين فى مكان محظور التدخين فيه اذا اكتملت للمدخن اسباب القيام به من مال الى غير ذلك من اسباب بما فيها العلم الخاص بمكان التبغ وأداة إشعاله مثلا فانه سيتمكن من التدخين ولكنه من ناحية توقيع العقوبة عليه لا يجوز توقيع العقوبة عليه الا اذا كان مخيرا فى ذلك ومن شروط التخيير العلم الكامل الذى يشمل العلم باحكام التدخين فى ذلك المكان وانه محظور التدخين فيه فاذا كان لديه علم كامل بذلك يجوز توقيع العقوبة عليه عندئذ مع ملاحظة ان جهل المدخن بحظر التدخين فى مكان لا يعتد به اذا كان جهله بتقصير منه كأن لم يلتفت إلى لوحة إعلان منع التدخين المعلقة فى المكان .

<u>تعليق على العناصر السابقة:</u>

إن أي عمل أو هدف يتعلق بشخص ما، يتم تحقيقه عن طريق مجموعة من الأسباب، وقد يضعها الله في يد هذا الشخص أو في يد شخص آخر، أو في يد الطبيعة، فموت شخص ما مثلًا كهدف، قد يكون بقتل نفسه بالانتحار، أو يقتله غيره، أو يقتله سيل أو زلزال، ولكن الهدف واحد وهو انتهاء أجل الشخص.

ينبغي على الإنسان عندما يُقْدِم على عمل أن يهتم بالسعي والدعاء والبحث عن الأسباب والرضا، ولا يقلق على النتائج؛ لأن نصيبه لن يفوته مادام يسعى إليه،

ولأنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، ولأنه محاسب على العمل[1] وليس على النتائج، وإذا تأخر الفرج، فإن انتظار الفرج عبادة، والشدة لك عليها أجر إذا صبرت عليها، والرضا بقضاء الله وقدره من الإيمان.

ويأتي فضل الإنسان وتميزه من دوره ومجهوده في توفير هذه العناصر، وفي البحث عنها وليس مع توافرها تلقائيًا.

يكون الإنسان في موقف تسيير عندما يقوم بعمل ينقصه فيه العلم بتفاصيله وكيفيته بدون تقصير منه.

إن من أخفق في عمل ما أو في دراسته، قد يكون معدنه طيبًا، ولا يقل عمن نجحوا وتفوقوا، وربما يزيد، ولكنه لم يتوفر له أحد أو بعض (الأسباب).

وإذا حاول أي فرد اتخاذ قرار القيام بعمل ما لم تكتمل أسبابه -مع بذله وسعه في محاولة توفير أسبابه- فإن هذا العمل لن يتم أو سيفشل، فينبغي عليه عدم تضييع وقته في محاولة تحقيق هذا العمل، وألا يكون عنيدًا.

يظهر تمايز وتباين الناس بتقييم تفاوت إنجازاتهم عند تساويهم في مقادير هذه الأسباب.

البشر يحتاجون لمنسق خارجي يتمثل في القدرة الإلهية للتنسيق بين اختياراتهم المشتركة، فيمكن مثلًا أن يرغب اثنان في رئاسة شركة معينة، ولَكِنَّ واحدًا فقط سيكون الرئيس، وقد يكون غير هذين الاثنين.

---

(1) انظر: الدليل على أن الحساب على العمل في الفصل الرابع من الباب الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان: (لماذا يعمل الإنسان؟).

لا قيمة لاكتمال الأسباب -في نظر الناس- دون توفيق الله، فمثلًا قد يقرأ شاب متخرج حديثًا من الجامعة بتفوق إعلانًا عن وظيفة خالية، وكانت كل متطلبات الوظيفة وأكثر منطبقة عليه تمامًا، ثم يكتشف هذا الشاب يوم تقديم الأوراق والمستندات المطلوبة في الإعلان أنه قرأ تاريخ تقديم طلب التوظيف لتلك الوظيفة خطأ؛ حيث ذهب بعد التاريخ المحدد بأسبوع، وبالتالي فاتته الوظيفة، صحيح أنه في هذا المثال لم يكتمل عنصر أو سبب العلم، وبالتالى هو مُسَيَّر في ذلك، ولكنه قبل ذهابه لتقديم طلب التقدم للوظيفة كانت كل المؤشرات تدل على أن أسباب التحاقه بالوظيفة كاملة.

إذا سعيت لعمل مشروع أو عمل خير بجد ولم يتحقق، فاعلم أن في ذلك خير لك، وسوف يبدلك الله من كرمه بأفضل منه بعد حين. قال -تعالى-: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (سورة البقرة الآية 216)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} (سورة النساء الآية 19)

الإنسان مطالب بالاجتهاد في محاولة توفير هذه العناصر -إذا كانت غير موجودة- عند الرغبة في الشروع في عمل، وإذا كان خلو الحدث من أحد هذه العناصر ناتجًا من تقصير من فاعل الحدث، لا يعد فاعل الحدث مُسَيَّرًا في عدم إجراء الحدث، ويُعْتَبَر مسئولًا عن عدم حدوث الحدث.

مثال ذلك: يعتبر علماء الدين الإسلامي حديث العهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة ومن في حكمهم -مثل أن ينشأ في بيئة ينتشر فيها الشرك ويقل فيها الدعاة إلى التوحيد- يعذر بجهل الأحكام الظاهرة المتواترة من الواجبات والمحرمات، أما من أنكر شيئًا من ذلك في دار إسلام وعلم، فإنه يكفر بمجرد ذلك؛ لأن الجهل -أي عدم توفر عنصر العلم- ناتج عن تقصير من الشخص أو تكذيب، فلا يعتبر مُسَيَّرًا بل يُحَاسَب،[1] وهكذا يكون الجهل -سواءً معذور أو غير معذور- سببًا للمعصية؛ لذلك فلنحرص جميعًا على تعلم أمور ديننا، والبحث عن نواحي قصورنا واكتشافها ومراقبة أنفسنا، فمن لم يبحث عن الحق مسئول عن جهله، وما يترتب عليه من أخطاء ومعاصي، ولو كان الإنسان غير مسئول عن الجهل غير المعذور؛ لاكتفى كل إنسان بما لديه من علم حتى تسقط عنه التكاليف التي لا يعلمها.

ومن الملاحظ أنه في حالة نقص العلم بالدين يسهل على الشيطان التأثير على الإنسان وإيقاعه في المعصية؛ لأنه لا يعرف أن ما يطلبه منه الشيطان أو ما تحدثه به نفسه حرام أو لا.

والخلاصة: إن الجهل وحسن النية لا يقبلان كأعذار في أغلب الأحوال؛ لأن المسلم مطالب بتحري الصواب، قال (صلى الله عليه وسلم): "سددوا وقاربوا"[2]

ومن الملاحظ أن مقادير الأسباب التي لدى الإنسان ليست ثابتةً بل متغيرةً، تزيد وتنقص، والذي لدى الإنسان اليوم من أسباب قد لا يكون غدًا كذلك.

---

(1) شرح صحيح مسلم - كتاب الحدود - حد الخمر - شروط إقامة الحد - الشيخ حسن أبو الأشبال الزهيري.

(2) صحيح البخاري - الرقاق (6463)، وانظر الفصل الأول من الباب السادس: (الجهل والمسئولية).

قاعدة الاستدراج:

"إذا أراد الله بعبد خيرًا يسر له أسباب الخير، وإذا أراد الله بعبد شرًا يسر له أسباب الشر".

"أفعال الخير حجة للعبد؛ لأنه أخذ بأسبابها، وأفعال الشر حجة على العبد؛ لأنه أخذ بأسبابها".

"مستقبل الإنسان مُقَدَّر مُسْبَقًا في شكل أسباب لم يخطط لها، ولم يتوقعها". كثيرًا ما يحجب الله عنك سببًا تمنيته، ثم تكتشف بعد ذلك بزمن أن ذلك كان لمصلحتك، وحَجْبُه عنك كان فيه خير لك، لذلك لو تمنيت شيئًا ولم يكن لديك أسبابه، فاعلم أن في ذلك خير لك.

***"وإذا أراد الله أمرًا يسر أسبابه"*، وقد ورد في الحديث:**

"حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ -الْمَعْنَى وَاحِدٌ- قَالاَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ عَنْ أَبِي عَزَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- "إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً أَوْ قَالَ بِهَا حَاجَةً". [1]

الأسباب بين السهولة والصعوبة:

قلت إن أي عمل يحتاج إلى أسباب ودوافع؛ حتى يمكن القيام به، وأي عمل يكون له هدف، وكل هدف يمكن الوصول إليه بأكثر من طريقة أي أكثر من تركيبة من الأسباب، وقد تكون تركيبةً معينةً من الأسباب لشخص أسهل أو أصعب من تركيبة أخرى لشخص آخر تحقق نفس الهدف.

---

(1) سنن الترمذي - القدر (2299).

obeikan.com

فمثلًا تعلم اللغة الإنجليزية كهدف، فإن أسباب تحقيقه لسكان بلد تتحدث الإنجليزية كأمريكا أو بريطانيا أسهل من أسباب تحقيقه لسكان البلاد العربية، وبالمثل تعلم العربية لسكان البلاد العربية أسهل من تعلمها لسكان البلاد الغربية.

الأسباب قد تأتي مبكرةً وقد تأتي متأخرةً:

قد تتأخر الأسباب لفرد عن آخر، فمثلًا قد يُلْحِق شخص أولاده بمدارس لغات: فيتعلمون اللغة الإنجليزية مبكرًا من الصغر، وقد لا يتقنها فرد آخر إلا بعد تخرجه من الجامعة، ومثلًا أيضًا قد تأتي أسباب هداية المرء إلى دينه مبكرةً أو متأخرةً، ولا يحق لعبد أن يتكبر على غيره لأنه التزم متأخرًا عن الأول؛ لأن المتأخر التزامًا لو أتيحت له نفس أسباب الأول لكان التزامه مبكرًا أيضًا، وربما بدرجة أكبر.

الضلال

الذي يقوم بمعصية وهو يجهل[1] أنها معصية يُعْتَبَر ضالًا، وقد يكون ضلالًا معذورًا؛ بسبب صغر سن أو حداثة عهد بالإسلام أو غير ذلك من أمور خارجة عن إرادة الإنسان، وقد يكون ضلالًا غير معذور؛ بسبب تقصير من الشخص، فهو غير مسئول بطريقة مباشرة؛ لأنه لا يدرك أن ما يفعله فيه معصية، ولكنه مسئول بطريقة غير مباشرة عما تسبب في جهله من سطحية، وترك تعلم أمور الدين.

---

(1) انظر الفصل الأول من الباب السادس من هذا الكتاب.

(الفصل الثانى)

(دروس مستفادة)

يجب على الدولة العمل على توفير كل هذه العوامل للمواطنين، خصوصًا عنصر الوقت، بجعل مسكن المواطن قريبًا من العمل أو من مكان الدراسة، وتوفير المؤسسات الخدمية في كل منطقة؛ حتى لا يستغرق الانتقال إليها وقتًا طويلًا، وتيسير المواصلات، واختصار وقت الإجراءات الحكومية، وأيضًا توفير عنصر العلم، بتوفير مكاتب للاستعلامات في كل مصلحة أو مؤسسة، ونشر الوعي القانوني والطبي والاقتصادي في مختلف المجالات.

واجب كل إنسان هو بذل الوسع في الأخذ بالأسباب المتاحة، والدعاء، وفورية البدء في الواجبات وأعمال الخير وعدم تسويفها، وتحديد العمل على حسب الأولوية، وحسن استخدام الوقت والمال؛ لأنه محاسب عليهما. وليعلم كل إنسان أن ترك الأسباب قَدْحٌ في الشريعة، وأنه يجب عليه بعد بذل الوسع الرضا بالمقدر، وتكييف نفسه مع ظروفه، ويجب على الإنسان عدم الندم على الماضي؛ لأنه لم يكن ليخطئه ولكن يتعلم منه، ويجب على الإنسان عدم القلق على المستقبل؛ لأنه لن يفوته نصيبه ما دام يبذل وسعه، ويجب على الإنسان محاولة توفير عناصر التخيير والتغلب على المعوقات.

إذا كان عدم تمكنك من عملٍ ما ناتجًا من عدم تمكنك من أسبابه بغير تقصير منك، فلا تلم نفسك، واعلم أنها إرادة الله ألا يتم هذا العمل، وأن هذا العمل ليس فيه خير لك، وعمومًا لا تندم أبدًا على فوات أمر ليس لك فيه اختيار؛ لأنه اختيار الله، وتَذَكَّر أنه كما أن إعطاء الله شيئًا لك نعمة، فإن حرمانه لك من شيء نعمة أيضًا، ولكن قد تكون غير ظاهرة لك.

obeikan.com

(الفصل الثالث)

(معادلة الطاعة والمعصية)

كثير من الناس لا يأتي تقصيرهم من سوء في نفوسهم، وهم غير مسئولين عن التقصير بشكل مباشر، ولكنهم مسئولون عما تسبب في تقصيرهم من جهل[1] بأمور دينهم، ونجدهم عندما يزول جهلهم يفعلون الصواب، ومثال لهذا الفنانون التائبون والفنانات التائبات، إنهم عندما زال جهلهم بالدين وعرفوا خطورة وجسامة المعصية؛ نجدهم تحولوا لأشخاص آخرين ملتزمين طائعين، وظهر معدنهم الحقيقي، وأصبحوا قدوةً مؤثرةً في الشباب، ولا أريد أن أذكر أسماءً؛ حتى لا أنسى اسمًا، وحتى لا أُتَّهَم بالنفاق -عافانا الله منه- ولكن يمكنني أن أقول إن منهم من اتجه للأعمال الدينية فقط، ومنهم من اكتفي بالمسلسلات الدرامية، وهذا لا يعني أن هؤلاء فقط هم الملتزمون، إنما كل فنان يلتزم قواعد الدين في أي عمل فهو ملتزم وطائع.

لذا أنصح كل إنسان بتعلم أمور دينه؛ لينتفي لديه عنصر الجهل، ومعظم المقصرين لو عرفوا دينهم وقرءوا كتابًا عن سكرات الموت مثلًا؛ لالتزموا الطاعات، وأنا شخصيًا توجد نقطتي تحول في حياتي: الأولى بعد قراءة كتاب

---

(1) الجهل هو السبب الرئيس للمعصية. انظر الفصل الأول من هذا الباب.

عن سكرات الموت، والثانية بعد قراءة كتاب عن الكبائر، ويمكنني تلخيص ذلك في معادلة بسيطة لو عرفها معظم الناس؛ لتغير سلوكهم للأفضل، وهذه المعادلة هي: إن المعصية لذتها قصيرة وعقابها شديد؛ لأن نار الآخرة أشد من نار الدنيا، فهل يُعَرِّض الإنسان نفسه للعذاب العظيم مقابل لذة وقتية قصيرة وزائلة؟! على الجانب الآخر نجد أن الطاعة مثل الصلاة، هي أفعال وحركات بسيطة لكن ثوابها عظيم، وسوف يكتشف العصاة يوم الحساب أنهم خسروا خسرانًا شديدًا من جراء تركهم لأعمال بسيطة لو طلبت منهم مقابل شقة أو سيارة في الدنيا ما تركوها.

obeikan.com

الباب الثالث

"الدوافع"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(قواعد أساسية)

بعد توفر الأسباب اللازمة للقيام بأي عمل يأتي دور الدوافع نحو القيام بالعمل، فلا تكفي الأسباب وحدها للقيام بالعمل، بل يجب أن يقوم الإنسان بالأخذ بالأسباب الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدوافع المتولدة داخله، وسنتعرف الآن على مجموعة من القواعد الخاصة بالدوافع. والدافع هو الشيء الذي يحث الإنسان على القيام بعمل اكتملت أسبابه (ممكن الحدوث).

<u>قاعدة الشعور</u>

"تتوقف درجة شعور الإنسان بالمجهود المبذول في عمل على مدى قوة الدافع لهذا العمل".

بمعنى أن المجهود الكبير يذوب مع الدافع القوي مثل الحب والهوايات، وهذا يفسر سر استمرار لاعبي كرة القدم (خصوصًا الهواة) مثلًا في الجري بالكرة لفترة طويلة، وهو بلا شك مجهود كبير على الجسم، ولكنه مجهود يهون في سبيل لعبة يحبونها، ولو طُلِبَ من أحدهم الجري نفس المدة الزمنية بدون كرة لما وافق، مع أن المجهود واحد في الحالتين.

قاعدة التقييم:

"يتوقف تقييم سلوك الإنسان المُخَيَّر في فعل ما على نوع الدافع[1]".

ولا تُعَدُّ أفعال الخير تَمَيُّزًا إلا إذا كانت بدافع الحب وتخلو من الدوافع المادية ودافع التقليد، فمثلًا الطالب في المدرسة قد يكون دافعه للمذاكرة الحصول على الدرجات فقط؛ فيهمل المواد التي لا تضاف درجاتها للمجموع الكلي، وقد يكون دافعه إرضاء الله -سبحانه وتعالى- بطلب العلم النافع سواء داخل في مجموع الدرجات أو لا، وطبعًا تقييمنا للحالتين وللشخص يكون مختلفًا.

إنَّ الأعمال والمعارف المكتسبة بحكم البيئة الخارجية والمحاكاة لا تُعَدُّ تَمَيُّزًا، مثل: تعلم الكلام.

قاعدة الاتقان:

"تتوقف درجة إتقان العمل على قوة ونوع الدافع".

فالرجل عندما ينتقي هدية لزوجته تكون درجة اهتمامه بالهدية مرتبطة بحبه لها، فإذا كان حبه لها شديدًا كان أكثر اهتمامًا بكون الهدية فريدةً من نوعها.

الذكاء والدوافع:

إنني لا أحب استخدام كلمة ذكي أو عبقري، ولا أؤمن بهما؛ لأن الله لو خلق الناس مجبولين على الذكاء أو الغباء لما استحق الأغبياء أن يُكَلَّفُوا ويحاسبوا على تقصيرهم.

لأن عقولهم غير مؤهلة بما يكفي لفهم تعاليم الدين، كما أن كلمتي ذكاء وغباء غير مذكورتين في كامل القرآن الكريم، ولكني أحب استخدام كلمة تفكير وناتج

---

(1) انظر: انواع الدوافع في الفصل التالي لهذا الفصل.

obeikan.com

التفكير للتفرقة بين إنسان وإنسان، وهما مرتبطان بدافع التفكير في الإنسان، مع ملاحظة أن ناتج التفكير مرتبط بنوع دافع التفكير وشدته.

وقد دعانا الله للتفكير والتفكر في مواطن كثيرة في القرآن الكريم، قال -تعالى-:

{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الجاثية13)

إذًا فأنا أتصور أن البشر متساوون في القدرة على التفكير؛ لأنهم مكلفون جميعًا، ولكنهم مختلفون في دافع التفكير، والأسباب المهيئة للتفكير، فالذي يحقق أرقامًا عاليةً في اختبارات الذكاء لديه دافع قوي لاجتياز اختبارات الذكاء، كأن يكون محبًّا للألغاز والعمليات الحسابية أو التخيل ليس إلا، وإلا فكلنا سنحقق نفس الرقم إذا كان لدينا نفس الدافع وبنفس شدته ونفس الأسباب؛ لأن كلنا لدينا عقول، وكلنا مكلفون بنفس التكاليف الشرعية (الدينية)، وعند تساوي الأسباب المهيئة للتفكير (كأن يكون الأفراد محل المقارنة إخوةً)، يكون الفرق في الإنجاز هو فرق في دافع التفكير وشدته، وهل الإنسان يحب مجال التفكير أم لا. ومن الظلم إجراء مقارنة بين فردين غير متساويين في الأسباب المهيئة للتفكير.[1] إذن فالعبقرية أو الذكاء في نظر المؤلف سلوك وليس صفةً، ويمكن تعريفهما بأنهما: "درجة استخدام العقل في التفكير طبقًا لما لدى الإنسان من دوافع وما تهيأ له من أسباب".

---

(1) انظر: الأسباب – الباب الثاني - الفصل الأول.

وأتصور أنه يجب أن يُقَيَّم الذكاء أو العبقرية بناتج التفكير -وهو مرتبط بدافع التفكير- فما الفائدة أن نقول إن إنسانًا مثلًا ذكي -بالمفهوم الشائع للذكاء- دون تحقيقه إنجازًا مُعَيَّنًا، أو دون إضافة شيء جديد للمجتمع، وكثير من الأطفال والشباب يحققون أرقامًا عاليةً جدًا في ألعاب الحاسب والجوال والتابلت، وليتهم يوظفون عقولهم الذكية -بالمفهوم الشائع للذكاء- في إنتاج يفيد البشرية. إن أزمة الأمم ليست وجود عقول ذكية، ولكنها أزمة توظيف للعقول فيما يفيد البشرية.

ويكون الحساب أمام الله في الآخرة أيضًا بحسب الدافع كما يروي الحديث الشريف:

"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ:

كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ". [1]

وعند اكتمال الأسباب يكون الفارق بين الناس هو الدافع، والدافع شيء داخلي لا يمكن للغير الاطّلاع عليه، ولا يَطَّلِع عليه إلا الله، ومن الممكن أن نُشَبِّه الدافع في الإنسان بعجلة القيادة في السيارة، فالسيارة قد تكون جاهزةً للمَسِير كالإنسان كامل الأسباب، ولكن قائد السيارة يخطئ أو يصيب التوجيه.

دروس مستفادة

1- يجب تكليف العاملين بالأعمال حسب الدافع، بحيث يكون أصحاب الدوافع القوية، كالهواة أولًا، ثم الأقل قوةً، وهكذا.

2- يجب خلق وتقوية الدوافع في العاملين والطلبة؛ للحصول على أقصى إنتاج، ويؤدي ذلك إلى تقليل شعورهم بالجهد.

وبتطبيق قاعدة الدوافع على العملية التعليمية نجد أنها تعتمد على جانبين أساسيين:

الأول:

من جانب المعلم؛ لأنه غير حريص على أدائه داخل المدرسة؛ لغياب الدافع، ويمكننا خلق هذا الدافع بأن تُعِدُّ كل مدرسة بعد إعلان نتيجة الامتحان النهائي تقريرًا بمعدل الدرجات -وليس نسبة النجاح فقط- لطلبة كل معلم لكل مادة دراسية، ويمكن كخطوة إضافية ربط مكافآت المعلمين بهذا التقرير.

---

(1) صحيح مسلم – باب الإمارة (5032).

الثاني:

من جانب الطالب؛ لأنه غير حريص على متابعة المدرسة، وإنما حريص فقط في الدرس الخصوصي؛ لغياب الدافع أيضا، ويمكننا خلق هذا الدافع بتكليف الطالب بواجب مدرسي -غير شاق- تتم متابعته والتفتيش عليه وتصحيحه بجدية، وهو الحاصل في الدروس الخصوصية.

باختصار ينبغي علينا العمل على تنفيذ ما يحدث في الدرس الخصوصي في المدرسة، بخلق الدافع في كل من المعلم والطالب، والوسيلتان السابقتان مثالان لطريقة خلق الدافع، ويمكن البحث وإضافة إليهم طرقًا ووسائل أخرى لخلق الدافع، أي ينبغي علينا التركيز على خلق الدافع، وتأتي بعد ذلك الخطوات الأخرى من تطوير المناهج.. إلخ، ولكن البداية تكون بخلق الدافع لدى كل من المعلم والطالب. وقد قمت بزيارة مدارس خاصة ومدارس حكومية لرؤية أقارب لي هناك، وكان جليًا لي اهتمام المدرسين والمشرفين في المدارس الخاصة بالطلبة عن المدارس الحكومية؛ لأن القائمين على العملية التعليمية في المدارس الخاصة لديهم دافع للاهتمام بالطلبة من أجل الحفاظ على سمعة المدرسة أو الجامعة، وتتباهى المدارس والجامعات الخاصة بنتيجة آخر العام لطلبتها. الخلاصة أنه يجب علينا لإصلاح التعليم الحكومي خلق دافع لدى القائمين على العملية التعليمية فيها؛ للاهتمام بالطلبة والعكس، أي خلق دافع لدى الطلبة للاهتمام بالحضور للمدرسة أو الجامعة، وربط أجور المعلمين بنتائج آخر العام ومعدلات الدرجات لطلبتها، ويجب التأكد من جدية جهاز التفتيش (الحاضر الغائب) على المدرسين والطلبة؛ لأنه يراقب وجود الدافع في المعلم والطالب، وجدية العملية التعليمية.

(الفصل الثاني)

(أنواع الدوافع)

تنقسم الدوافع لنوعين: دوافع ذاتية، وأخرى خارجية.

- دوافع ذاتية: أي أن الدافع إلى الفعل نابع من ذات الإنسان ومن رغبته الداخلية.

- دوافع خارجية: أي أن الدافع إلى الفعل تحقيق هدف خارجي في البيئة الخارجية للإنسان.

أهم دوافع الخير

1- الغريزة: وهو دافع داخلي مثل دافع الأمومة، فنحن نجد أمهات يضحين بكل نفيس وغالٍ في سبيل أبنائهم، وطبقًا لقاعدة الشعور التي ذكرتها في الفصل السابق، فإن بذل الأم كل نفيس وغالٍ يهون مع دافع قوي مثل الأمومة.

2- الحب أو الهواية: وهو أيضًا دافع داخلي، مثل لعب الكرة إذا كان الفرد يحب هذه اللعبة؛ فيهون في سبيلها أي مجهود.

3- الرغبة و الإقتناع: وهو دافع داخلي أقل درجةً من دافع الحب

4- التقليد والمحاكاة والبيئة: وهو دافع خارجي ناتج عن البيئة والظروف الخارجية، ليس لصاحبه دور كبير فيه، مثل تعلم الكلام.

5- المادة: هو دافع خارجي، فيه يهدف صاحب الفعل إلى تحقيق غرض مادي، مثل المال أو المنصب.

obeikan.com

6- الاضطرار أو القانون: وهو دافع خارجي، يرضخ فيه صاحب الفعل لتهديد خارجي.

7- الرياء: وهو دافع خارجي.

8- الإيمان والخوف من الله.

دروس مستفادة:

لرفع مستوى السلوك الإنساني، يمكننا أن نطبق دافع التقليد والمحاكاة على من ليس لديهم دافع داخلي، بأن نجعل البيئة والظروف المحيطة بالناس والقدوة الحسنة تدفعهم للسلوك المراد؛ فيصبح طبعًا في الناس بالمحاكاة، ويُنْصَح بالاهتمام بكافة الدوافع، كأن نهتم بتطبيق القانون، ولا يخفى علينا حال البلاد التي يُطَبَّق فيها القانون على الجميع دون تمييز، مع التنبيه أن الفعل المحمود لا يُعَدُّ تَمَيُّزًا إذا كان دافعه خارجيًا.

أهم دوافع الشر:

1- الخبث: وهو دافع داخلي، ويصعب تقويمه، مثل: الجهر بالمعصية، وارتكاب المعصية بالرغم من وجود بديل حلال، ومثل الغني الذي يمتلك ما يحتاجه وأكثر ومع ذلك يسرق. والخبث يصاحبه مكر وتخطيط.

2- التقليد والمحاكاة: وهو دافع خارجي يمكن تقويمه بتعديل البيئة للأفضل.

3- المادة: وهو دافع خارجي يهدف فيه الإنسان لكسب شيء مادي، مثل: المال.

4- الاضطرار.

5- الإغراء وغياب القانون.

6- الكسل وحب الأسهل.

7- **الكِبْر:** وهو دافع إبليس -لعنه الله- لرفضه السجود لآدم عليه السلام.

ويلعب الشيطان دوره في تحريك هذه الدوافع -ما عدا دافع الاضطرار- ولا تنسَ أن الجهل -بأحكام الدين أو قوانين البشر- أعظم سبب للمعصية (انظر الباب الثاني الفصل الأول)، فعندما يوجد الجهل؛ يسهل ذلك عمل دافعي التقليد والمادة.

دروس مستفادة:

لتحجيم الشر يجب كبح شريحة الأشرار، أصحاب دافع التقليد والجهل، بنشر الوعي القانوني والأخلاقي والديني بين الناس، وحجب البيئة التي تشجع الجريمة، وتقليل أو منع الإغراء، وتشديد الرقابة.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الثالث)

(دخول الجنة أسهل من الدخول في موسوعة جينيس)

إن أهل النار أكثر من أهل الجنة كما دل حديث بعث النار في الصحيح، وقد قال نبي الله سليمان لابنه: "يا بني! لا تعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا؟!".[1] ولَكِنَّ ذلك ليس بسبب صعوبة تكاليف الله لنا، ولكن بسبب سوء النفس البشرية، وشَاهِد برامج القنوات الفضائية التي تستقبل مشاكل المشاهدين لتتأكد. سمعت أحدهم يقول لموظف أمن أحد المؤسسات "ليه؟! هو أنت حتدخلني الجنة؟!" عندما اشترط تصريحًا معينًا للدخول لتلك المؤسسة، والواقع أنه بالرغم من أن أهل الجنة أقل من أهل النار، فإن دخول الجنة أسهل من الدخول لمؤسسات عديدة في الحياة الدنيا. تَأَمَّل بإنصاف في تكاليف الدين، فلن تجد مشقة بمعنى حقيقي، فمثلًا: أيهما أكثر مشقة حركات الصلاة البسيطة التي تنشط الجسم وتريح الأعصاب أم رقص الديسكو مثلًا؟ وهكذا كل معصية، عندما تتأملها ستجد أن مشقتها أكثر من مشقة الطاعة -إن كان للطاعة مشقة-، وتَذَكَّر أن درجة شعور الإنسان بمشقة أي عمل تتوقف على قوة الدافع لهذا العمل، فأنت عندما تلعب مباراةً

---

(1) المنتخب من وصايا الآباء للأبناء (ص: 16).

لكرة القدم مثلًا، تجد أن المشقة المبذولة في اللعب أكبر بكثير من مشقة أداء فروض الصلاة، ولكن كثيرًا من الناس يلعب ساعات ولا يصلي دقائق والسبب هو الدافع، فالمشقة الكبيرة تذوب أمام الدافع القوي، لذلك فالفرق بين الذي يصلي والذي لا يصلي فرق في الدافع فقط، والطائعين لا يفعلون شيئًا خارقًا (لذلك فإن طريقنا لإصلاح المجتمع يأتي بخلق الدوافع النبيلة، مع تهيئة أسباب الطاعة).

إن العاصي يخسر الكثير لتركه أفعالًا بسيطةً، لو طلبت منه أضعافها بدافع دنيوي مثل شقة أو سيارة لما تركها، وليس فقط لبساطة وسهولة التكاليف المطلوبة من العباد فإن دخول الجنة سهل، ولكن أيضًا لأن عدد الطائعين قليل بالنسبة لعدد العصاة، والنفوس الحاقدة والشريرة كثيرة؛ لذا فالجنة مضمونة للطائع النقي القلب المحب للخير والمحب للآخرين، مثل: التلميذ المجتهد يبرز ويظهر مجهوده إذا كان عدد المجتهدين قليل في مدرسته، تَأَمَّل الناس من حولك، تَأَمَّل نفوسهم ومعاصيهم وحبهم للمال والسلطة، إنك إن نَقَّيت نفسك، وأطعت ربك، فتفاءل بآخرتك -إن شاء الله-.

و"عن سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ -وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ- عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا".[1]

(1) صحيح مسلم - باب الإيمان (119).

وليس معنى كلامي أن يركن العبد إلى عمله -مهما كان ملتزمًا- فإذا كنت من أهل الجنة -إن شاء الله- فما المانع أن تعمل لرفعة درجاتك في الجنة؟ بل إنه ليس من الحكمة أن يترك العبد المنزلة العالية في الجنة وبمقدوره أن يبلغها. خلاصة القول: إن عمل الطاعات ليس من أجل دخول الجنة فقط، ولَكِنْ أيضًا لرفعة الدرجات فيها.

الدليل من القرآن على أن عدد الطائعين قليل وعدد العاصين كبير:

<u>الآيات القرآنية:</u>

{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سبأ 13).

{ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} (الواقعة 14).

{مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} (الأعراف 10).

{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ}(المائدة 66).

{وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج 18).

{ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد 16).

{كَثِيرًا مّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ} (المائدة 49).

obeikan.com

(الفصل الرابع)

(دوافع الطاعة العقلية)

سأتكلم هنا عن دوافع الطاعة العقلية التي من شأنها إقناع الإنسان عقليًا بطاعة الله.

1- إن نار الآخرة أشد من نار الدنيا.

{ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} (التوبة (81).

2- يقول الله -تعالى- في الحديث القدسي: "أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُهَيْبٍ أَنَّ الْمُهَاصِرَ بْنَ حَبِيبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلاَمِ الْحَكِيمِ أَتَقَبَّلُ، وَلَكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْدًا لِي وَوَقَارًا، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ".[1]

3- المعصية هي تزيين من الشيطان، ولذتها وهم من صنعه يعقبها ندم بعد القيام بالمعصية.

{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} (الأنفال 48).

4-الإنسان ضعيف جدًا، وفي حاجة دائمة إلى الله، ولا يجب أن ينتظر الإنسان حتى يصاب بمحنة فيفكر حينئذ في الطاعة.

---

(1) سنن الدارمي - كتاب المقدمة (258).

obeikan.com

وورد في الحديث: "حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، سَمِعَ رَوْحَ بْنَ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلاَّ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: "يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا". قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ". قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا".[1]

5- حتى لا يضيع الإنسان ثواب أعماله الصالحة السابقة في لحظة ضعف.

"حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهْوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ".[2]

---

(1) صحيح البخاري - المغازي - (3976).
(2) صحيح بخاري- بدء الخلق (3208).

6- حتى لا تصيبه مصيبة تكفيرًا لمعصيته.

7- لا يضمن العاصي ألا تكون وفاته أثناء ارتكابه للمعصية؛ فيموت على المعصية، ومن مات على معصية بعث عليها، "حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالاَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ".[1]

8- لا تجتمع مصلحة ومعصية في نفس الوقت، فالمعصية ليس فيها مصلحة والعكس صحيح (إلا في حالات الاضطرار والضرورة القصوى).[2]

لماذا العمل:

يقول البعض إن مستقبل الإنسان مقدر ومكتوب، فلماذا يعمل؟ والجواب لأن التقدير تقدير أسباب في المقام الأول، ويجب عليه الأخذ بهذه الأسباب، ولأنه مأمور بالعمل:

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (التوبة 105).

ولأنه محاسب على عمله وليس على النتيجة التي هى مكتوبة -إن لم تكن النتيجة حاصلة بك كانت حاصلة بغيرك- والحساب يكون ببرهان وعلى أساس، فالإنسان لا يُجَازَى على الإنجاز الكبير إذا كان دون عمل، مع أن الإنجاز تحقق فعلًا، في المقابل إذا أخفق إنسان في عمل إنجاز كبير عمل وسعى له بجد، فإنه محاسب على عمله على الرغم من عدم تحقق النتيجة:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (الكهف 30).

---

(1) صحيح مسلم - الجنة وصفة نعيمها وأهلها (7413).

(2) حد الضرورة هو أن يكون ارتكاب المحظور أقل ضررًا من تركه.

أي أن المكتوب هو النتيجة، ولا يحاسب عليها الإنسان، والنتيجة تتم بك أو بغيرك إذا كانت مكتوبة، والعمل مُحَاسَب عليه الإنسان حتى لو أخفق في النتيجة، فيكون العمل للحساب وليس للنتيجة، والتقدير تقدير للأسباب -في المقام الأول- التي يجب على الإنسان الأخذ بها، وسبب آخر للعمل هو أن عمله سيشهد له أو عليه في الآخرة.

والدليل على أن الحساب في الآخرة يكون على العمل وليس على النتيجة هذا الحديث: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا بَهْزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ". [1] فلو كان العمل من أجل النتيجة ما أمرنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بغرس الفسيلة؛ لأنه لن يتبقى لها وقت لتنمو وتظهر نتيجة غرسها، ولكنه أمرنا بغرسها؛ لأن العمل من أجل الحساب الذي يكون على العمل.

وللأسف فإن الناس في الدنيا يحكمون على بعضهم بالنتيجة من منصب ومن مال، وليس بالعمل أو الأخلاق.

---

(1) مسند أحمد - مسند أنس بن مالك (13322).

الباب الرابع

"بعض تطبيقات نظرية الأسباب والدوافع"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(الصلاة والاختيار)

وأود أن أذكر هنا ملاحظةً، وهي أن المُصَلّي إذا كان مُسَيَّرًا في أداء الصلاة لما استحق ثوابًا، وإذا كان غير المصلي مُسَيَّرًا في عدم أداء الصلاة لما استحق عقابًا. فَلِكَي نكون محاسبين على أداء الصلاة من عدمها، يجب أن نكون مُخَيَّرين، أي تكون الصلاة ممكنةً ومتاحةً لنا جميعًا، ونحن نقبلها أو نرفضها، ونحاسب عليها. وقد ذكرت في كتابي هذا أن أي فعل أو عمل يحتاج لشيئين حتى يقوم به الإنسان هما: الأسباب والدوافع، وأسباب أي عمل هي الوقت والمكان والمادة والصحة والعلم، وسأتناول باختصار الآن كل بند منهم بالنسبة للصلاة.

- الوقت: أمامك في اليوم 24 ساعةً، وفي المقابل خمسة فروض، كل فرض يحتاج بضع دقائق للوضوء وللصلاة، بالإضافة إلى أن الشرع أتاح رخصة قصر الصلاة في السفر، ورخصة التيمم في حال ضيق الوقت أي أن بند الوقت متوفر للجميع، وليس هناك عذر لأحد لعدم الصلاة بالنسبة للوقت.

- المكان: يقول رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام-:

"عن سَعِيدُ بْنُ النَّضْرِ قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيَّارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ -هُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ الْفَقِيرُ- قَالَ: أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مُسَيَّرَةَ شَهْرٍ،

وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ أيضًا، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". (1)

أي أن بند المكان متوفر للجميع أيضًا، وليس هناك عذر لأحد بالنسبة للمكان.

- المادة: لا توجد رسوم تُدْفَع للصلاة، ولا تحتاج أدوات خاصة بها يتم شراؤها، بل إنك أنت الذي سيزداد نشاطك وتستريح أعصابك وتستفيد، وفي حالة عدم وجود ماء للوضوء يجوز للمسلم التيمم بدون ماء، أي أن هذا البند أيضًا متوفر للجميع.

- الصحة: المريض له رخصة الصلاة قاعدًا أو مستلقيًا حسب استطاعته، أي أن هذا البند أيضًا متوفر للجميع، الصحيح والمريض على مختلف مستويات الصحة والمرض.

- العِلْم: كلنا على اختلاف درجات إيماننا تعلمنا كيفية الصلاة في الصِّغَر، وهى أول ما يتعلمه الفرد عندما يعتنق الإسلام، هذا بالنسبة لكيفية الصلاة سهلة التعلم للكبير والصغير، ولكن العلم بأهمية الصلاة وخطورة تركها لا تُدْرَك في الصغر تلقائيًا إلا إذا نَبَّهَ الأَبُ ابنه لها، وقد لا يعرف الفرد أهمية الصلاة إلا من قرأ -بعد أن يكبر قليلًا- في أحكام الصلاة، أو استمع لأحد الدعاة في محاضرة.. إلخ، وهذا يتطلب وجود دافع لدى الشخص للمعرفة، أي أن بند العلم هذا متوفر للجميع في حالة وجود دافع للطاعة.

---

(1) صحيح البخاري - التيمم (335).

ومن الجدير بالذكر أن الدعاة يسهمون بدور كبير في توفير عنصر العلم -إذا كان الفرد لديه دافع لمعرفة الحق واستمع إليهم- وهكذا علمت -أخي القارئ- أن أسباب الصلاة متوفرة للجميع في حالة وجود دافع.

فيجب على الفرد منا الذي لم يعلم أحكام الصلاة وأهميتها وخطورة تركها أن يسأل أو يقرأ أو يستمع للدعاة؛ فيتوافر لديه عنصر العلم، ولا أتصور أن هناك مسلمًا يعلم يقينًا خطورة ترك الصلاة ولا يصلي، والدافع إلى الصلاة وتعلم أحكامها -إذا كان موجودًا- فإنه يؤدي بالفرد لأن يقرأ ويسأل عن الصلاة، وبالتالي يؤدي لتوفير عنصر العلم.

إن الفرق بين المصلي وغير المصلي فرق في الدافع، والفرق بين مُصَلٍّ ومُصَلِّ هو في الدافع أيضًا، ومن الجدير بالذكر أيضًا أن طاعة الله -سبحانه وتعالى- عمومًا لا تتأتى إلا بمعرفة الحلال والحرام والخطأ والصواب، أي بتوافر عنصر العلم، ولا يتأتى العلم إلا إذا كان هناك دافع للمعرفة بالدين، وهكذا نجد أن هناك حلقة متصلة بين عنصر الدافع وعنصر العلم، فكلما زاد الدافع للطاعة زاد توفر عنصر العلم بأهمية الطاعة -عن طريق بحث الفرد منا عن دينه بكتاب أو محاضرة أو درس علم.. إلخ- وكلما زاد علمه بها زاد الدافع للطاعة وهكذا.

وفي حالة وجود الأسباب والدوافع -وبالرغم من هذا- فإن العبد منا لا يصلي، فإنه لا ينقصه إلا الشرارة أو القرار -كما قرأت في نهاية الفصل الرابع من الباب الأول- والقرار يتم الوصول إليه بأكثر من طريقة مثلًا بالتشجيع، بتشجيع أولادك ليصلوا معك، أو الاتفاق مع جار أو صديق على الصلاة معًا، أو مثلًا بالتخطيط، فتقول بينك وبين نفسك في بداية اليوم مثلًا: وقت الآذان سأكون في المكان كذا، فسأتوضأ في الموضأة كذا -والأفضل أن يخرج الفرد منا من بيته

على وضوء، والأفضل أيضًا إذا خرجت ولم تكن متوضئًا أن تذهب للوضوء قبل الأذان بخمس أو عشر دقائق- ثم أصلي في المكان كذا، فتنوي وتخطط من أول يومك للصلاة عندما يحين وقتها، وتكون مهيئًا لها، وإذا كنت ذاهبًا لقضاء مصلحة ما في جهة معينة تخطط للصلوات التي ستتخلل وقت قضائك للمصلحة، والأماكن التي ستتوضأ وتصلي فيها، وتختار ملابسك -كالحذاء مثلًا- بحيث تسمح لك بالوضوء بسهولة في أي وقت خصوصًا في الشتاء، وإذا كنت ترتدي نظارات طبيةً، فاحرص على حمل جراب للنظارة معك، وتذكر أن الشيطان هو الذي يُصَعِّب عليك الوضوء والصلاة، فاستعد وخطط في بداية يومك أين ستتوضأ وتصلي، بحيث إنه عندما تسمع الأذان لا تصيبك الحيرة أين ستتوضأ وتصلي، ومما يدعم ملاحظتي عن أهمية التشجيع والتخطيط أن أكثر المحافظين على الصلاة تجدهم مثلًا: أب مع أبنائه يشجعون بعضهم بالصلاة مع بعض أو زملاء أو جيران... إلخ، فإذا لم تكن محافظًا على الصلاة وتريد أن تحافظ عليها، فاجعل لك صديقًا أو أصدقاء تقومون بتشجيع بعضكم على الصلاة.

(الفصل الثانى)

(المذاكرة والاختيار)

كما قلنا: محددات أي عمل الأسباب والدوافع، وبالنسبة للأسباب اللازمة للمذاكرة باختصار كالتالي:

- الوقت: يجب على أولياء الأمور توفير وقت كاف يوميًا لأبنائهم للمذاكرة ومتابعتهم في ذلك، وذلك بعدم تكليفهم بمهام قبل التأكد من إنهائهم لواجباتهم ومذاكرتهم، ويجب على الطلبة تجنب تضييع الوقت في التوافه، ولن أبوح لكم بمدى حفاظ الطلبة المتفوقين على الوقت؛ حتى لا يتضايقوا مني -وهو سلوك محمود أدعو كل طالب أن يحذو حذوه- ويجب على الطالب أن يتحكم في وقته وليس العكس، وإنني لأتعجب من أولياء الأمور الذين يسمحون لأبنائهم بالخروج في أي وقت، ويرون وقتهم يضيع بأعينهم، ثم يلومون أبناءهم على الرسوب، فماذا يتصورونه سيكون حال من لم يستذكر دروسه قبل الامتحان؟ هل يظنون أنه سينجح؟ ومن أين سيأتي بإجابات الأسئلة في الامتحان إذن؟!

- المكان: يجب على أولياء الأمور توفير المكان المناسب والصحي والخالي من الضوضاء لمذاكرة أبنائهم بقدر الإمكان.

- المادة: يجب توفير على الأقل الحد الأدنى من الأدوات والكتب والمكافآت.. إلخ، من مستلزمات المذاكرة المادية للأبناء.

- الصحة: يجب متابعة صحة الابن العضوية والنفسية والغذائية، خصوصًا الأطفال، ومعالجة أي مشكلة تصادف الابن في المدرسة مع مدرس أو زميل، ويجب على الآباء توفير ساعة أو أكثر قليلًا للنوم بعد العودة من المدرسة؛ ليستعيد فيها الابن نشاطه.

- العلم: وأقصد هنا العلم بتفاصيل وطبيعة المواد الدراسية، وطريقة مذاكرتها، وطريقة الأسئلة.. إلخ، وينبغي على كل تلميذ سؤال تلميذ أمين في صف أعلى من صفه؛ ليرشده لطريقة الأسئلة في الامتحانات، والمطلوب مذاكرته في كل مادة. والمنطقي أن مدرس كل مادة في أول حصة من العام يُوَجِّه طلبته أو تلاميذه، ويعطيهم خلفية عن كل ما يتعلق بمادته ونظام الامتحان، ولَكِنَّ هذا لا يحدث إلا في الدرس الخصوصي -مع الأسف-.

هذه هي الأسباب الرئيسة للنجاح والتفوق باختصار، فإذا كانت هذه الأسباب متوفرةً للابن ولم ينجح ويتفوق، فإما أن تكون هذه العناصر غير متوفرة بدرجة كافية، وإما أن يكون التلميذ ليس لديه دافع للتفوق أو النجاح أصلًا.

وإما أنه يسيء استغلال الأسباب ويضيع وقته في التوافه، سواء عن إهمال أو عن سوء توجيه ممن حوله، وإليكم سرًا من أسرار التفوق، وهو مثلث التفوق، حيث إن خطوات التفوق ثلاث: (التلخيص - التسميع- المراجعة)،

وسأتكلم باختصار عن كل بند منهم:

- <u>التلخيص</u>: ولا أقصد هنا المفهوم الدارج للتلخيص، ولكن أقصد أن يكون التلخيص بكتابة فقط الكلمات (رءوس المواضيع أو العناصر) التي تتذكر ما فهمته من قراءة الدرس بقراءتها، وأهمية التلخيص تتمثل في أنك لن تستطيع مراجعة الكتاب كله ليلة الامتحان، فبمجرد قراءتك للملخص الخاص بك

تتذكر كل ما فهمته سابقًا، مع ملاحظة نقطة خطيرة، وهى أنه يجب أن يقوم كل طالب بكتابة ملخصه بنفسه على حسب فهمه، وإلا لن يكون له أي جدوى.

- التسميع: والحفظ في حد ذاته غير مذموم، ولكن المذموم الحفظ بدون فهم، ولابد من الحفظ، والحفظ يكون أسهل مع الفهم، ويكون التسميع بسرد الذي فهمته بينك وبين نفسك بمجرد قراءتك لكلمات الملخص (العناصر)، أو كتابة المعادلة الخاصة بقانون رياضي أو فيزيائي أو كيميائي في ورقة خارجية غيبًا، فإذا لم تكن متذكرًا تعيد قراءة الدرس الأصلي، ويمكنك قياس مدى فهمك وحفظك عن طريق حل الأسئلة والمسائل، وتلخيص أهم أفكار المسائل التي مرت عليك؛ حتى لا يضيع مجهودك ووقتك في حل المسائل هباءً.

- المراجعة: في كل مرة قبل مذاكرة الدرس الجديد تراجع الملخص، وهكذا كل مرة قبل مذاكرة الدرس الجديد تراجع فيها الملخص، وتحذف العنصر الذي أصبح بديهيًا منه، ومع كل مراجعة تثبت المعلومات في الذهن أكثر بحيث إنك ليلة الامتحان تتذكر المنهج بمجرد النظر إلى الملخص، ويمكن تعديل الملخص مع كل مراجعة، وحذف البديهي أو الذي أصبح بديهيًا بالنسبة إليك، وسر آخر من أسرار التفوق وهو التحضير، حيث يفضل الطلبة المتفوقون القيام بمذاكرة الدروس قبل أن تُشْرَح لهم في المدرسة أو الكلية.

وفي حالة وجود الأسباب والدوافع -وبالرغم من هذا- فإن الطالب لا يذاكر، إنه لا ينقصه إلا الشرارة أو القرار، والبعد عن كل ما يدعو إلى الكسل ومضيعات الوقت -كما قرأت في نهاية الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب- والقرار يتم الوصول إليه بأكثر من طريقة (وهذه الطرق تستخدم في الدرس الخصوصي) مثلًا، بالتشجيع: بتشجيع أولادك، أو الاتفاق مع جارلهم أو زميل على المذاكرة معًا (دون تضييع وقت)، أو بالتخطيط. ويحتاج تلاميذ الصفوف

الأولى من التعليم بالذات (تلاميذ التعليم الابتدائي وما قبله؛ نظرًا لصغر أعمارهم) للتشجيع من المحيطين، وأن يقوم شخص أكبر منهم بالتخطيط لهم في مذاكرتهم، ومن الملاحظ أن أهم فارق يفرق بين طالب وطالب في الغالب هو الحفاظ على الوقت والتخطيط، فقرار البدء في المذاكرة بالنسبة للطالب المتفوق مخطط له من بداية اليوم، ومحدد توقيته قبل العودة من المدرسة، ليس مثل كثير من الطلبة تكون المذاكرة عشوائيًا حسب الظروف بدون تخطيط، وعلى الطلبة الذين يمضون وقتًا طويلًا في التفكير في أمور خارجية - قبل أو أثناء المذاكرة- أن يتركوا ذلك تمامًا حتى ينتهوا من مذاكرتهم، وإذا كانت تشغله فكرة ملحة فليكتب رأسها في ورقة إلى أن ينتهي من مذاكرة دروسه، ثم يتناولها بالتفكير في وقت فراغه، ويُنْصَح كذلك بالابتعاد عن كل ما يشغل الطالب عن المذاكرة

وإذا بذل الطالب وسعه ولم يُوَفَّق، فيجب عليه ألا يحزن؛ فيكفيه الأجر والثواب عند الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا.

<u>ملاحظة مهمة:</u> مع ملاحظة أن الإسراف في الطعام والشراب يعيق القدرة على التحصيل والفهم خصوصًا في شهر رمضان.

<u>نصيحة للطلبة عند تحديد الرغبات:</u>

نصيحتي عند اختيار مجال الدراسة سواء في الثانوية العامة أو الجامعة ألا تتأثر باختيار شخصية ناجحة أو مثل أعلى بالنسبة إليك؛ نظرًا لأن نجاحك في أي مجال يعتمد على الأسباب والدوافع كما قرأت في هذا الكتاب، وهما يختلفان من شخص لآخر، فربما الأسباب التي تهيأت لهذه الشخصية غير مهيأة لك، وربما أيضًا دوافعه تختلف عن دوافعك فالقرار الحكيم هو الذي

يتناسب مع الأسباب المهيأة لك ومع دوافعك، وكما قرأت في هذا الكتاب في الباب الثالث الخاص بالدوافع أن المجهود الكبير يذوب أمام الدوافع القوية، فاختر مجالًا محببًّا لك وستجد أنك تلتهم كتبه التهامًا دون أن يكون هناك امتحان، أما لو اخترت مجالًا لا تحبه؛ تأثرًا بشخصية تحبها -فحتى لو نجحت فيه- سيكون ذلك مع إحساس بالملل وصعوبة المواد، وربما تقرر عدم الاستمرار في هذا المجال والعودة من جديد لنقطة الصفر في مجال آخر، وأنسب تصرف قبل تحديد رغباتك هو الاطلاع على كتب المواد الدراسية الخاصة بالمجالات التي ستقوم بالمفاضلة بينها، ثم تختار المجال المناسب لأسبابك ودوافعك.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الثالث)

(الزواج والاختيار)

عند تحليل مسألة الزواج يختلف الأمر قليلًا؛ نظرًا لأنها تعتمد على طرفين، وبدلًا من استخدام كلمتي أسباب ودوافع سنستخدم بدلًا منهما كلمتي مميزات وطموح، وفي الواقع كل مقبل أو مقبلة على الزواج له دائرة اختيار تشمل فرص الفتيات التي من الممكن أن تقبل برجل معين زوجًا لها بالنسبة للرجل، أو فرص الشباب الذين من الممكن أن يتقدموا للزواج من فتاة معينة بالنسبة للفتاة، ويعتمد اتساع دائرة الاختيار تلك على مميزات أقترح أن أسميها مميزات داخلية ومميزات وخارجية لكل منهما، الخارجية بالنسبة للرجل، مثل: الغنى والوسامة والصحة والمركز الاجتماعي والمستقبل المرتقب.. إلخ، مما لا يد للرجل فيه (أغلبه موروث)، والمميزات الداخلية، مثل: اللباقة وخفة الظل ومراعاة الذوقيات والمشاعر الرقيقة (مايطلق عليه الرومانسية) ومهارات الشخصية.. إلخ من الصفات المكتسبة المرتبطة بالبيئة والنشأة، وأيضًا مرتبطة بشخصية الفرد وتفاعله مع البيئة، والفتاة أيضًا لها مميزات داخلية (مكتسبة)، ومميزات خارجية (موروثة)، ومن الواضح أن الشخص -رجل أو امرأة- مُسَيَّر في وجود المميزات الخارجية، وشبه مُسَيَّر في المميزات الداخلية؛ لأنها مكتسبة، والشيء المكتسب مرتبط بالبيئة ولا يد لأحد في البيئة التي نشأ فيها، أي أن الإنسان مُسَيَّر إلى حد بعيد في درجة اتساع دائرة اختياره في الزواج، بالإضافة إلى أنه

يشترط ليكون الإنسان مختارًا لفعل ما -كما ورد في هذا الكتاب في الباب الثاني الخاص بالأسباب- عنصر العلم أي أن كلًا من الشاب والفتاة يعلمان كل شيء عن بعضهما البعض، وبما أن كل اثنين مقبلين على الزواج من بعضهما لا يكون لديهما معلومات كاملة عن بعضهما؛ لذلك نستطيع أن نستنتج أن الإنسان شبه مُسَيَّر في الزواج، أو نقول إن الإنسان في الزواج مختار فقط في حدود مميزاته وحدود معلوماته عن الطرف الآخر وحدود الموجود والمتاح من فتيات أو شباب، أيضًا مما يدل على أن الإنسان شبه مُسَيَّر في الزواج أنه عندما يتوافق اثنان -شاب وفتاة- في المميزات والطموح، يحتاجان أن يلتقيا ببعضهما؛ ليعلم كل منهما بوجود الآخر، ولقاء البشر بالبشر لا يتحكم فيه أحد من الناس بل يكون صدفةً، والصدفة بالنسبة لنا حكمة بالنسبة لله -تعالى-؛ فنحن لا ننتقي من نقابلهم في الدراسة، ولا ننتقي من نقابلهم في العمل.. إلخ، ولكنه النصيب والصُدَف، ويجب ملاحظة أن الزواج عن غير اقتناع هو زواج فاشل دائمًا، أو على الأقل ممل، والذي يقدم تنازلات عن المبادئ الأساسية في الحياة -ولا سيما مبادئ الدين- لن يكون تنازله هو التنازل الأخير، وقاعدة هامة في الزواج وفي كل الأمور، وهي ألا تكذب من أجل إقناع شخص أو فتاة بالارتباط بك، أو عمومًا لا تكذب من أجل الوصول لغاية تريدها؛ لأن الله -تعالى- لا يجعل مصلحة العبد في معصيته -هنا المعصية هي الكذب- (إلا في حالات الاضطرار والضرورة القصوى)، والزواج ليس مجالًا للاضطرار، والكذب فيه غش ليس فيه أي مصلحة.

إن السبب الذي يدفع الإنسان للكذب جعله الله ليعلمك أن ذلك الشيء الذي ستكذب من أجله ليس فيه خير لك؛ فيحذرك منه الله بوضع حاجز بينك وبينه. أذكر أن شابًا أعرفه اقترح عليه صديق التقدم لفتاة، ولكنه قال له إن

هذه الفتاة تشترط شيئًا ما، فكان أمام هذا الشاب شيئان هما: الكذب من أجل إتمام الزواج، أو الصدق، واختار هذا الشاب الصدق ولم يتم الزواج، واكتشف بعد ذلك هذا الشاب أنه لو كان تزوج في ذلك الوقت كان سيترتب على زواجه أمورًا غير مرضية له. وإذا كنت قليل المميزات فذلك لحكمة عند الله، وليس معنى ذلك أن تقبل بزواج غير مقتنع به، وتقضي باقي عمرك نادمًا على هذا الزواج متحملًا تبعاته.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الرابع)

(نهضة الأمم)

أولًا: جزئية الأسباب:

ذكرت في الباب الثاني الخاص بالأسباب إن الأسباب الرئيسة الواجب توافرها لإتمام أي عمل هي: الوقت والمكان والمادة والصحة والعلم، ولو طَبَّقنا هذه العناصر على المجتمعات الراغبة في النهضة؛ تكون خطوات تقدم الأمم كالتالي:

1- الوقت: يجب تقليص الوقت الضائع في الدراسة في المدارس والمعاهد والجامعات، أو الوقت المستغرق للانتقال لمقر الدراسة والعودة منه، والأهم من ذلك هو تعويد الطالب من صغره على أهمية الوقت، ولا يخفى علينا حال البلاد التي تحافظ على الوقت، وليكن الهدف دائمًا تقليص الوقت الضائع، وشغل وقت الفراغ في شيء مفيد مثل القراءة، وتعويد الطالب على الحفاظ على الوقت من الصغر، وأقترح لمزيد من توفير الوقت أن تكون المحاضرات في الجامعات مسجلة إلكترونيًا على شكل ملفات صوت وصورة (فيديو) يسهل تبادلها ونقلها، كما يمكن القيام بتنزيلها عن طريق الإنترنت (عمل داونلود لها)، ويمكن للطالب مشاهدتها في البيت أو في أي مكان على الحاسب اللوحي مثلًا (التابلت)، أو الحاسب المحمول (اللاب توب)، ولا يضطر الطالب أن يأتي للجامعة إلا يومًا واحدًا أو اثنين في الأسبوع لحل الأسئلة أو المسائل، أو حضور

المعامل والسكاشن، والمذاكرة تكون من الكتب الإلكترونية والمحاضرات المرئية المسجلة إلكترونيًا. والمذاكرة من المحاضرات المسجلة والكتب أفضل من المحاضرات الحية (لايف)؛ لأنها غير مرتبطة بوقت أو مكان للمذاكرة؛ فنوفر الوقت والمكان للطالب والأستاذ، ولن نحتاج لمدرجات للمحاضرات؛ لأن المذاكرة تكون في أي مكان وأي وقت على الحاسب من الفيديوهات أو الكتب الإلكترونية، فضلا عن وجود نقطة ضعف هامة في المحاضرات الحية، وهي إنك إنْ شرد ذهنك (سرحت) لثوانٍ (وهو شيء وارد)؛ فإنك لن تستفيد شيئًا من حضورك باقي المحاضرة، والوقت الذي ستمضيه في بقية المحاضرة هو وقت ضائع، بينما في المحاضرات المرئية المسجلة أو الكتب إن فاتتك جزئية يمكنك أن تعيد (تكرر) مشاهدتها أو مشاهدة الجزئية التي فاتتك أي عدد من المرات أو تعيد قراءتها لو أنك تذاكر من كتاب. هذا النظام بعد دراسته وإعداده جيدًا سيوفر المكان والوقت لأقصى درجة ممكنة، بما في ذلك وقت الانتقال للجامعة والعودة منها، كما يمكن تحديد مواعيد الحضور للكلية عن طريق الإنترنت، ويمكن للطلبة المراسلة والتواصل مع المعيدين بالبريد الإلكتروني، أو عن طريق نظام التذاكر الإلكترونية؛ لسؤالهم عن النقاط الغامضة، هكذا نكون قد قَلَّصْنَا الوقت الضائع في الدراسة لأقصى درجة، ويمكن التدرج في تطبيق هذا النظام، فيُطَبَّق على مجموعة من الطلبة التي تكون موافقة على تطبيق هذا النظام عليها، مع بقاء النظام التقليدي للطلبة غير الموافقة، ومما لاشك فيه أن هذا النظام سيعمل على انسياب المرور في الشوارع؛ لقلة ذهاب الطلبة للجامعة، وعدم شغل وسائل المواصلات، هذا بالنسبة لتوفير عامل الوقت في الدراسة، وبالنسبة للعمل يجب أن تهدف الدولة لأن يكون مقر عمل المواطن قريبًا من مقر السكن؛ لتوفير الوقت، ويجب في كل عمل دراسة كيفية زيادة الإنتاجية لكل موظف أو عامل عن طريق حسن استغلال الوقت.

1- المكان: يجب استغلال المساحة غير المستغلة من مساحة الدولة، وزيادة استغلال المساحة المستغلة، وأقترح إلزام كل مالك عقار أو أرض مهجورة أو شبه مهجورة بالقيام بمشروع تجاري أو صناعي يقدم فرص عمل للشباب، أو إن كان لا يريد القيام بمشروع يُلْزَم بعرض عقاره أو أرضه للإيجار.

2- المادة: إن لم يكن بإمكاننا زيادة مواردنا في الوقت الحالي، فعلى الأقل نقلل الفاقد في الموارد والفاقد في الطاقة.

3- الصحة: يبدأ الاهتمام بالصحة بالوقاية أولًا عن طريق زيادة الوعي الطبي من المدرسة، وتدريس العادات الغذائية الصحيحة.. إلخ.

4- العلم: ولا أعني بعنصر العلم التعليم فقط، ولكن أيضًا الوعي بالصحة والعادات الغذائية والقانون والدين والاقتصاد وتجارب الأمم المتقدمة.. إلخ، وبلاشك فإن المعارف الأساسية يجب على الجميع (حتى العمال والفلاحين) الإلمام بها، وليس طبقةً معينةً دون أخرى. أذكر أنني عندما كنت أدرس اللغة الانجليزية في معهد يُدَرِّس فيه مدرسون أجانب، في إحدى المحاضرات كان أحد التدريبات أن يختار الدارس -وكلنا كنا مصريين- ماركةً من ماركات السيارات يحب اقتناءها، ويصفها بالإنجليزية؛ فكلنا -بما فيهم أنا- اختار ماركةً أجنبيةً، وتركنا اختيار الماركة المُجَمَّعة محليًّا؛ فاندهش المدرس لهذا السلوك، ولكنه كان بسبب غياب الوعي الاقتصادي، حيث ينبغي على أي مواطن تشجيع المنتج المحلي.

ثانيًا: جزئية الدوافع:

يجب خلق دوافع العمل والتعلم لدى المواطنين بكل طريقة، بدافع الحب مثلًا عن طريق وضع كل مواطن في مجاله المحبب، أو دافع البيئة بالقدوة الحسنة،

أو دافع المادة عن طريق المكافآت والحوافز للمتميزين، أو دافع القانون بمحاسبة الأقل إنتاجًا.. إلخ.

وفي حالة وجود الأسباب والدوافع -وبالرغم من هذا- لا يوجد تَقَدُّم، فإنه لا ينقص إلا التخطيط.

obeikan.com

الباب الخامس

"قضية تقييم البشر"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(القواعد الذهبية في فهم الشخصية البشرية)

هذه أهم قواعد التعامل بين البشر التي استخلصتها من مواقف في حياتي على مدى أربعة عقود من عمري، ولم أتعلمها مجانًا، ويبدو أنني توصلت إليها متأخرًا، ولكني أحببت أن أنقلها للقراء من الجيل الجديد؛ متصورًا أنني بذلك سأوفر عليهم صدمات عنيفة عند التعامل مع الناس، وعقودًا من العمر.

1- (الناس أقنعة) حيث إن الشخصية تحتوي على مظهر وجوهر، والمشكلة أن الناس تنخدع بالمظهر، الذي هو قناع يختبئ خلفه الجوهر، فليس كل من أمسك ترمومترًا هو طبيب، وما يظهره الفرد من مشاعر أو صفات ليس بالضرورة هو مشاعره وصفاته الحقيقية، وصفة واحدة تعجبك في شخص ليس معناها أن كل صفاته حسنة.

وهذا الرأي ليس جديدًا؛ حيث إنه سبقني إليه من قال:[1] (ما الدنيا إلا مسرح كبير).

ويليام شكسبير (بالإنجليزية: William Shakespeare) أديب وكاتب مسرحي وشاعر إنجليزي، وُلِدَ (تم تعميده) في 26 أبريل 1564، وتوفي في 23 أبريل 1616، بكنيسة سترت فورد، آفون، بانجلترا. يعتبر شكسبير أعظم أديب في تاريخ إنجلترا، وتعتبر مسرحياته وقصائده كلاسيكيات في أقسام الأدب الإنجليزي في جامعات العالم. كما أن أعماله كانت مسرحًا ومادةً للدراسات العليا والنقدية، وهناك من قرأ أعمال شاكسبير قراءات ماركسية أو حتى رومانسية، بالإضافة إلى أنه تم اقتباس جل أعماله في الكثير من الأفلام والمسرحيات حول العالم. (من موقع ويكيبديا الإلكتروني على الإنترنت).

وهذه العبارة الشهيرة كنت أسمعها في صِغَرِي، وكنت أرددها ولم أكن أعرف معناها، ولكني عَرَفته بنفسي مؤخرًا، وكما ستعرف في الفصل التالي لهذا الفصل أن أبرز جانبين لكشف حقيقة الشخص هما: الاحتكاك المالي، واحتكاك المصلحة.

إن المثالية الظاهرية في الأغلب الأعم من الأحيان تكون قناعًا ينهار عندما تحتك وتتعامل مع الشخص، كأن تطلب منه خدمةً أو يطلب هو أجره على عمل قام به من أجلك، أو تقع في ضائقة تحتاج من يقف إلى جانبك، والمثل القائل: (اللي تحسبه موسى يطلع فرعون) صحيح تمامًا (انظر أيضا: "الشخصية المزدوجة" في هذا الفصل).

2- لا تجزم بانطباع الوهلة الأولى (بالسلب أو بالإيجاب)، وإنما توقع جميع الاحتمالات، ودَعْ الأيام تكشف لك الحقيقة، وتذكر أنَّ الأحجار الكريمة نادرة الوجود.

3- جوانب النفس البشرية مستقلة، حيث إن للإنسان جوانب متعددة ليست كلها إيجابية وليست كلها سلبية، فليس هناك إنسان إيجابي مطلقًا ولا سلبي مطلقًا، والناس ليسوا ملائكةً وليسوا شياطين، والفرق بين إنسان وآخر يتمثل في عدد الجوانب الإيجابية وعدد الجوانب السلبية. يمكن أن تجد شخصًا عاصيًا يدخن مثلًا ولكنه شهم مع الناس، أو ماهر في عمله، والعكس يمكن أن تجد إنسانًا يصلي، ولكنه غير متسامح.. إلخ. الخلاصة: إياك أن تحكم على شخص بأنه إيجابي مطلقًا أو سلبي مطلقًا من صفة واحدة رأيتها فيه، خصوصًا لو كانت صفةً ظاهريةً، وقد يتغير رأيك إذا عرفته أكثر وظهرت لك صفات أخرى.

4- لا تثق في البشر (ولا في الدنيا)، ولا تصدق كل ما يقولونه؛ لأنهم أقل مما تظن، وأقل من هيئتهم الظاهرية، وعليك أن تتوقع ذلك، ولأنه لا يوجد إنسان كامل. مثلًا عندما تطلب من أحد المارة أن يصف لك الطريق، فإنه قد يضلك بدلًا من أن يرشدك -وهذا يحدث كثيرًا- ومعلمك في الفصل قد لا يعرف إجابة السؤال الذي تسأله فيه عندما يكون خارج المنهج؛ لأن العلم ليس له كبير، وليس هناك بشر كاملون أيضًا، طبيبك قد لا يعرف تشخيص مرضك؛ لأن الطب لم يكتشف علاج كل أمراض البشر بعد، فلا تعلق آمالًا عريضةً في البشر، ولا تكلفهم فوق طاقتهم.

5- في الأغلب الأعم أن النفس البشرية ضعيفة، فلا تندهش أو تتعجب إذا اكتشفت أن إنسانًا ما بخيل[1] أو حقود أو كذاب أو سيء الخُلُق؛ لأن الأحجار الكريمة نادرة الوجود، وقد قال نبي الله سليمان لابنه: "يا بني! لا تعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا؟!".[2]

6- لا تنخدع بالناس؛ فنجاح البشر في الحياة وبلوغهم المناصب العليا غير مرتبط بكفاءتهم واستحقاقهم لهذه المناصب، فضلًا عن أن يكون مرتبطًا بالتزامهم بالمبادئ والأخلاق والدين، فنحن سمعنا في الآونة الأخيرة عن أشخاص كانوا يتقلدون مناصب رفيعةً، ثم اتضح أنهم لا يستحقون هذه المناصب، وغير جديرين بها، فضلًا عن عدم التزامهم بالأمانة، ولا تنخدع بظاهر الإنسان من

---

(1) رغم غناه، ولن أتكلم هنا عن مدى بخل البخلاء؛ لأنه شيء يدعو إلى الاشمئزاز (انظر حديث النهي عن البخل في الباب السادس الفصل الثاني، تحت عنوان (4- البخل والمن)).

(2) المنتخب من وصايا الآباء للأبناء (ص: 16)

عبادة أو مركز اجتماعي؛ لأنه ربما -بل غالبًا- ما يتمسك بالظاهر فقط، وعندما تقع أنت يكون أول المتفرجين عليك.

7- لا تتغاضَ عن صفة سيئة في شخص؛ لأن جوهر الشخص يظهر في فلتات اللسان وفلتات الأفعال، والذي يسكت على الخطأ -حتى لو كان غير واقع عليه الآن- ينقلب عليه في النهاية، ولا تنتظر حتى يصيبك أذى من شخص مخادع لكي تبتعد عنه -دون هجر، انظر نهاية الفصل الثاني من الباب السادس- فالكذاب من الممكن أن يكذب عليك، والنصاب من الممكن أن ينصب عليك.. إلخ.

8- توقع انتقام الشخص المسيء واحذر مراوغته، فمثلًا إذا طلب منك زميل -في العمل مثلًا- المشاركة في تصرف غير مشروع، أو عرض عليك رِشْوَةً ورفضت، فتوقع أنه لن يسكت، وأنه سيدبر لك مكيدةً ما في أقرب فرصة. والشر والحقد في الإنسان لا يرحم مريضًا أو ضعيفًا، ولا يعرف إلا الانتقام مهما كانت الظروف فاحذر منه، وإذا واجهته فما أسهل الكذب ليدافع عن نفسه وإنكار الحقيقة التي هى كالشمس، وتَذَكَّر أنه حتى المنطق لا يجدي في إقناع الشخص المخطئ بخطئه.

9- ومن القواعد الذهبية والهامة في التعامل بين البشر والتي توصلت إليها مؤخرًا أنك إذا طلبت من شخص خدمةً واعتذر، وذكر سبب الاعتذار، فتوقع أن ذلك السبب الذي ذكره ليس هو السبب الحقيقي، وأنه يتهرب منك ولا يريد أن يخدمك، بالعامية (بيوزعك أو بينفضلك) ليس أكثر، فلا تلح عليه وتقدم له حلًا للعذر الذي ذكره؛ لأنك ستحرج نفسك فقط، والأفضل ألا تطلب خدمةً من أحد؛ عملًا بالمثل القائل: (ما حك جلدَك مِثْل ظُفْرِك).

10- لا تكن عنيدًا ولا غريبًا ولا متعصبًا، وتَجَنَّب العنيد والغريب والمتعصب (دون هجره).

11- في عصرنا لا تتوقع أن الآخرين سيقومون بإعطائك حقوقك من تلقاء أنفسهم، وأيضًا لا تتوقع من الآخرين أن يقوم كل واحد منهم بتأدية واجباته نحوك أو نحو الغير من تلقاء نفسه؛ فالإهمال هو سمة هذا العصر، خصوصًا مع عدم وجود رقيب، فَتَعَلَّم الحلم والدفاع عن حقك بأدب، ولا تجعل ذلك يتسبب في إثارة أعصابك؛ لأنه أمر طبيعي في هذا العصر يجب عليك أن تعتاده، حتى إنه قيل: (لو تَقَصّى كل إنسان حقوقه الضائعة؛ لوجدنا أننا نعيش نصف أحياء).

12- سعة العلم والاجتهاد في العبادة لا يضمنان عدم الانحراف الفكري والعقائدي، سواءً انحراف متعمد أو غير مقصود.

13- ولا تعامل الآخرين بثقة زائدة؛ حتى لا تندم عندما تعرف الحقيقة، ولا تقلق كثيرًا على معرفة الصادق وغير الصادق أو المخلص وغير المخلص، فقط تَوَقَّع أنه قد يكون عكس ما يُظْهِر، ودَعْ الزَّمَن يكشف لك الحقيقة، وقد وَرَدَ في الحديث: "حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْكَلْبِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أُرَاهُ رَفَعَهُ، قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا".[1]

---

(1) سنن الترمذي – البر والصلة (2128).

openkan.com

14- في زمننا هذا احترس من اقرب الناس اليك.

15- عندما تتعرف على شخصية جديدة في حياتك تذكر ثلاثة قواعد رئيسة وهي: إن الناس أقنعة، وألا تحكم بالظاهر، وأن الأحجار الكريمة نادرة.

16- تَجَنَّب سوء الظن، فحتى لو كان ظنك صحيحًا دع الآخر يأخذ وزر سوء عمله وحده ولا تشترك معه في الوزر بسوء ظنك، وقد يكون ظنك غير صحيح فتأخذ الوزر وحدك.

17- قابل الشر بالخير دائمًا، فما أجمل القلب النقي الذي لا يلوثه أي كره لأحد من الناس، حتى لو كان يستحق ذلك.

18- التمس الأعذار للآخرين، وحاول ألا تخسر الناس حتى لو أساءوا إليك.

19- لا تسمح للشيطان أن يؤثر على علاقاتك الطيبة بالآخرين.

20- الذي لا يؤذي أحدًا هو الوحيد في هذه الدنيا الذي يكون مرتاح الضمير، وراحة الضمير شيء لا يُقَدَّر بمال.

21- كل تفكير في الإساءة للآخرين أو رد الإساءة -سواء يستحقون الإساءة إليهم أم لا- ما هو إلا وسوسة من عمل الشيطان.

22- المؤمن الحق لا يعرف الكره لأحد من الناس أساء إليه أم لم يسئ.

23- لا تذم أحدًا أمام الآخرين؛ لأنها صفة سيئة تفقدك احترام الناس لك.

24- تَصَرَّف مع الناس بما يليق بك لا بما يليق بهم.

25- لا تركن إلى الحاضر؛ فكثيرًا ما يأتي المستقبل مخالفًا لكل التوقعات.

obeikan.com

قاعدة التوقع:

هناك قاعدة بديهية يعرفها جيدًا قادة الحروب، وهذه القاعدة هي: قبل أن تصدر الأوامر بتنفيذ خطة معينة في الحرب، يَفْتَرِض القائد في مخيلته أن الخطة قد تمت قبل أن يبدأ في تنفيذها فعلًا، ويدرس أو يتوقع ردود الفعل المحتملة من قِبَل الخِصْم لو أنه أتم تلك الخطة، وليتنا نطبق قاعدة التوقع هذه في حياتنا الدنيا، فقبل أي تصرف نتوقع كل الاحتمالات المترتبة على هذا التصرف، وهل من المحتمل أن تؤذي تصرفاتنا مشاعر الغير مثلًا، أو سنتعرض نحن للضرر.. إلخ.

الشخصية المزدوجة:

كثيرًا ما نرى إنسانًا يصدر منه تصرفان متناقضان يدلان على صفتين مختلفتين، صفة سلبية وصفة إيجابية، أو طاعة ومعصية في نفس الوقت، ونحتار أي صفة منهما نصدقها فيه، وهذا اللغز حيرني فترةً طويلةً، لكني وجدت مؤخرًا أن ذلك يحتمل أربعة احتمالات: الأول أن تكون إحدى الصفتين قناعًا للصفة الأخرى تبعًا للقاعدة الأولى التي ذكرتها في هذا الفصل، والتي تقول إن الناس أقنعة، فمثلًا قد تحضر فني الصيانة لمنزلك فيخجلك بأدبه وحيائه، ولكن بعد قيامه بالعمل المطلوب منه ومرور عدة أيام على ذلك، تكتشف أنه خدعك بأن قام بتركيب قطع غيار غير أصلية خلافًا لما اتفقتم عليه، ففي هذه الحالة يكون الأدب الظاهري منه كان قناعًا يخفي خلفه صفة الغش والاحتيال، وهذا الاحتمال يكون قائمًا عندما تكون الصفة الإيجابية تتعلق بالسلوك الظاهري، وتكون الصفة السلبية متعلقةً بجوهر الشخص (تكون متعلقةً بالمال أو المصلحة كما سترى في الفصل التالي لهذا الفصل). والاحتمال الثاني -وهو الأكثر ورودًا لصدور صفتين متناقضتين من نفس الشخص- أن

تكون فيه صفة حسنة وصفة سيئة معًا، تبعًا للقاعدة الثالثة التي ذكرتها في هذا الفصل، والتي تقول بأن جوانب الشخصية مستقلة، كأن يكون الشخص متفوقًا لكن خجولًا، أو إنه مُصَلٍّ لكن بخيل، أو متكبر أو إنه نصاب لكن كريم، فلا عجب من ذلك عندما نعرف أن جوانب الشخصية مستقلة. والاحتمال الثالث أن يكون الإنسان إجمالًا طيبًا لكن مرت عليه لحظة ضعف. والاحتمال الرابع والأخير أن تكون فهمت الرجل خطأ وهو لا يقصد أي شر.

وأود الإشارة إلى أن الشخص العاصي أو المخطئ إما إنه يعرف أنه مخطئ ولكنه خبيث يصر على الخطأ أو المعصية أو ضعيف أمام المعصية، وإما إنه يجهل أنه مخطئ، وهذا له ثلاثة احتمالات: أحدها أن يكون سيئ النية وخبيثًا، ولا تفرق معه المعرفة والجهل، فحتى لو عرف قبح ما يفعله سيفعله، والاحتمال الثاني -وهو الشائع- أن يكون حسن النية، ولكنه لم يتحر الحق والصواب ولم يبحث عنهما، وهذا يسمى ضلال -غير معذور- وهو احتمال كثير الحدوث، والاحتمال الثالث والأخير أن يكون يريد الحق والصواب والخير، وتَحَرّى الحق ولكنه لم يصل إليه؛ لقلة خبرة أو حداثة سن، وهذا احتمال ضئيل ولا يصلح أن يكون عذرًا في أغلب الأحيان. ويهمني هنا حسن النية الذي لم يتحر الحقيقة، فأقول لكل ذي نية حسنة: إنه لا يكفي حسن النوايا وطيبة القلب، بل يجب عليك أن تتحرى الحق والصواب في كل عمل، وألا تقلد غيرك إلا بعد أن تتأكد من صحة ما يعمله، ومن مدى اتفاقه مع الدين، أمّا مَنْ تَحَرّى الصواب ولم يصل إليه، فلا خوف عليه؛ لأنه سيصل للحق في النهاية.

(الفصل الثانى)

العوامل الجوهرية (الخفية)

وهي تحدد العلاقات المستمرة والدائمة، حيث تتشكل الشخصية من صفات خارجية أي ظاهرية وسلوكية (تعرفها من لقاءك بالشخص لأول مرة)، ومن صفات جوهرية وخفية (تعرفها بعد التعامل مع الشخص لفترة طويلة)، ولا ترتبط ولا تعبر غالبًا الصفات الخارجية الظاهرية عن جوهر الإنسان. إن معظم من يبدو متميزًا في صفاته الظاهرية، يكون هذا التميز ظاهريًا فقط، سرعان ما ينهار عندما تختبر جوهر هذا الشخص، وستجد أن أقصى تميز للناس غالبًا هو في الجوانب الظاهرية، ولا تتوقع ولا تنتظر منهم أكثر من هذا.

ظاهر الناس الذي نراه في الأحوال العادية أنهم مثاليون، ولا تظهر حقيقة الشخص إلا في جوانب معينة وحالات مخصوصة، فهل جوهر الشخص مرتبط بظاهره؟ في الحقيقة لا، ويمكننا اكتشاف حقيقة وجوهر الشخص من خلال اختبار ثلاثة عناصر فيه، وسوف تكتشف سوء النفس البشرية إلى أقصى حد، وسوف تجد أن من يمتلكون جوهرًا نفيسًا من حولك معدودون على أصابع اليد الواحدة -إن وجدوا-، حتى إن البعض بالغ وقال: "اعرف ألفًا.. و تحدّث مع مائة.. واحترم عشرةً.. وأحبب واحدًا.. و لا تثق في أحد". وليس معنى هذا أن الجوهر النفيس معدوم ولكنه نادر، نادر ندرة الماء في الصحراء، وفي التالي أوضح العناصر الثلاثة اللازمة لاختبار جوهر الإنسان الحقيقي وليس ما يظهر

مـن طقـوس سـلوكية وظاهريـة، ويمكـن أن نسـميه اختبـار العطـاء أو اختبـار الصفاء أو اختبار الجوهر، الذي ينبغي أن تكون عناصره مع مختلف الناس، حتى من لا تربطك به مصلحة أو قرابة.

1- الاحتكاك المالي.

2- احتكاك المصلحة والتسامح.

3- العشرة الطويلة والسفر والجيرة.

وما أدقَّ ما سَنَّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لمّا وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص وإظهار حقائق الرجال, وذلك حينما جاءه رجل ليشهد لرجل آخر...

- فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟

- فأجاب: نعم.

- قال: هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟

- فأجاب الرجل: لا.

- قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تُعْرَف به مكارم الأخلاق؟

- فأجاب الرجل: لا.

- قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يُعْرَف به ورع الرجل؟

- فأجاب الرجل: لا.

obeikan.com

- فصاح به عمر: لعلك رأيته قائمًا قاعدًا يصلي في المسجد يرفع رأسه تارةً ويخفضها أخرى.

- فقال الرجل: نعم !!

- فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه. والتفت إلى الرجل وقال له: ائتني بمن يعرفك.

وسأتناول بشيء من التوضيح كل عنصر كما يلي:

<u>الاحتكاك المالي:</u>

وأستطيع أن أقول لك: لكي تعرف شخصًا، انظر كيف يحصل على ماله، وفيم ينفقه، أو كيف يتصرف في التعاملات المالية وليس مقدار هذا المال، ويمكن أن تختبره بأن تطلب منه أن يقرضك مقدارًا من المال دون مقابل، وطبعًا سيرفض، جَرِّب وستتأكد بنفسك.

ومن التجارب الشخصية التي تؤكد سوء النفس البشرية في التعاملات المالية غير المرتبطة بغنى أو فقر: شاهدت صاحب شركة كبيرة لديها توكيلات أجنبية ومخازن بملايين الجنيهات، المخازن غير مرخصة ويغش في البضاعة بأن يعطي بضاعةً غير البضاعة المتفق عليها. إنه سيتعذب يوم القيامة بسبب سرقة نقود سينفقها غيره -أعني ورثته-. ياللغباء، إن الذي ينفقه فعلًا كان يكفي الحلال لكسبه. (ملحوظة: هذا الرجل الذي ذكرته الآن يحافظ على الصلاة جماعةً كإمام بموظفيه، ولا يسألني أحد كيف ذلك؟!).

لقد أعرت كتابًا رخيص الثمن لطالب في كلية من كليات القمة، وعندما طلبته على الهاتف الجَوَّال لأطلب منه الكتاب فلم يرد عليَّ.

كم مرة التزم كل سكان عمارتك بدفع سهم مشاركتهم في صيانة سباكة أو كهرباء تخص العمارة!

ذات مرة أرسلت رسالة بريد إليكتروني لأستاذ جامعي غني، أستعلم فيها عن نقطة في تخصصه؛ فرد علي هو -أو ربما سكرتيره- بأن طلب مني أن ألتحق بدورة في معهد -ربما يملكه أو يدرس فيه- وأرفق في الرد رقم هاتف جَوَّال.

أعظم مثل لموضوع التعاملات المالية هو موضوع الميراث، خصوصًا لو ضَمَن الشخص المحتال أن أحدًا لن يشعر بالزيادة التي أخذها عن حقه، كأن تكون المستندات الخاصة بالميراث معه. ومال الميراث لذيذ جدًا؛ لأنه لم يتعب فيه.

ويظن النصابون أن نصبهم على الناس حسن تصرف وذكاء، وأنهم يستحقون المال الذي قاموا بالاستيلاء عليه، وأن المجني عليهم لا يستحقون المال الذي يمتلكونه؛ لأنهم ساذجون.

في المقابل كم شخص تعرفه ساهم في حل مشكلة مالية لآخر ولم ينتظر المقابل! بالرغم من أن معظمهم ناجحون في أعمالهم، وظاهرهم أنهم مثاليون، ولا يصدر عنهم شيئًا غير لائق، ولكن عند التعاملات المالية يختلف الأمر.

<u>احتكاك المصلحة والتسامح:</u>

إن معظم أصحاب المهن لا يفصحون عن أسرار مهنتهم بسهولة -وهذا معروف- خصوصًا لزملائهم، والمَثَل يقول: "عدوك ابن كارك".

وجَرِّب أن تطلب من شخص خدمةً دون مقابل، وستتأكد بنفسك.

يمكنك معرفة بعض من جوهر الشخص بسهولة، بمراقبته في عمله، وهل هو يتحايل في عمله، وهل يستغل منصبه.. إلخ.

ولكن للأمانة قابلت عددًا من الطلبة أرشدوني في المذاكرة في كلية التجارة، ولا أعرفهم ولا يعرفونني بشكل شخصي، ولَكِنَّ هذا استثناء خاص من عام.

وهناك نوعان من تقديم المصلحة أو الخدمة: نوع دون خسارة مصاحبة، ونوع معها، ولكن هل يقبل أحد أن يقدم مصلحة غيره على مصلحته؟ أشك.

ولا ينبغي أن يُقيَّم الإنسان بدرجته العلمية أو مركزه المهني، ولكن بمدى تعاونه مع زملائه.

وعكس التسامح الكِبْر -عافانا الله منه- وقد قَلَّ -بل ندر- من ينجو منه، بالرغم من أنه يصلي ويصوم، مع أن الحديث الشريف صريح في التحذير من الكِبْر.[1]

العشرة الطويلة والحيرة والسفر:

إن الإنسان لا يستطيع أن يخفي حقيقته طوال الوقت، وانظر كم صديق استمرت صداقتك به من الدراسة حتى عمر متقدم، ومع تباعد وانتهاء ارتباطات الدراسة والمصلحة هل يوجد واحد فقط؟!

هذا، وأود أن أقول إن أزمة هذا العصر هي أزمة جوهر على وجه الخصوص، وأزمة حُبٍّ على وجه أخص، لا أحد يخدم أحدًا دون مقابل؛ خشية أن يسبقه أو يتفوق عليه. كثير من الشباب لديه أفكار خلاقة وطموحات، ولا يخفى عليكم

(1) وقد تم ذكر الكِبْر بشيء من التفصيل في الفصل الثاني من الباب السادس.

حماس الشباب غير المستغل، لكنهم لم يجدوا من يمد لهم يد المعاونة؛ خشية أن يبرزوا ويتفوقوا، ولسان حالهم يقول: أأساعده ليكون كذا وأنا في مكاني؟

وقد ورد في الحديث -حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه".[1]

(1) صحيح البخاري – الإيمان (13).

obeikan.com

(الفصل الثالث)

العوامل الظاهرية (السلوكية)

والناس الذين تتوافر فيهم هذه الصفات قسمان: قسم شائع، وهو من يتصف بهذه الجوانب في حالة وجود عائد مادي أو مصلحة (مثل الدراسة أو العمل أو التجارة)، وقسم نادر، وهو الذي يتصف بها عمومًا، حتى بدون مقابل مادي ومع الجميع، وطبعًا لا يكون تميزًا ولا تفضلًا الاتصاف بهذه الصفات فقط في الدراسة أو العمل أو المصلحة المادية.

1- احترام المواعيد. (هناك من هو دقيق في مواعيد فتح محله أو شركته فقط).

2- الاهتمامات والهوايات النافعة، مثل: القراءة.

3- الدراسات الإضافية بجوار المؤهل الدراسي، والتي يدرسها الفرد غير طالب لعائد مادي منها (مثل دراسة الشعر).

4- الأخلاق والآداب، مثل: الصدق، والحفاظ على النظافة العامة، وآداب الطريق.

5- أداء العبادات والصلاة. (أكثر المصلين يؤدون الصلاة في العمل فقط).

6- المشاركة مع الأسرة.

7- الجَلَد في الحياة، مثل: ركوب المواصلات العامة (هناك من يركب المواصلات العامة رغم قدرته على ركوب تاكسي أو الركوب في سيارة قريب أو زميل).

8- الإتيكيت والذوقيات. (هناك من يحترمها في العمل فقط، وبين أصدقائه يسب ويشتم).

9- مهارات التحدث مع الآخرين والإقناع والفكاهة واللباقة.

10- الانتباه.

11- التلقائية والعفوية والصراحة (في الإفصاح عن المشاعر الإيجابية أو المشاعر السلبية).

12- العدل والإنصاف والحياد. (بعض الناس يتغاضى عن أخطاء أبنائه في حق الآخرين)

13- الشهامة والكرم.

14- الأهداف المستقبلية.

15- سرعة البديهة.

وتوجد أمثلة عديدة للعدل المتناهي في صدر الإسلام، مثل مواقف سيدنا عمر مع غير المسلمين، وأيضًا مواقف قضاة المسلمين، وتوجد أيضًا أمثلة للحياد عند الغرب، منها كتاب: (الخالدون مائة أعظمهم محمد) الذي قام بتأليفه عالم غربي غير مسلم هو عالم الرياضيات: مايكل هارت.[1]

---

(1)كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد) - ترجمة الأستاذ (أنيس منصور).

obeikan.com

ومن الصعب -إن لم يكن من المستحيل- أن تتأتى لإنسان واحد كل هذه الصفات وإلا لكان كاملًا، ولكن ليس من المستحيل إعداد النشء الجديد عليها وتحبيبهم فيها، وأنا طبعًا لا أدعي أنها تتوفر كلها أو أغلبها فِيَّ، ولَكِنَّ ذلك ليس تقصيرًا مني، ولَكِني لم أقرأ في صغري مثل هذا الكتاب، ومن الصعب تدارك الأمر الآن بعد هذا العمر.

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الرابع)

(حول الشر)

إن فكرة الحياة الدنيا قائمة على وجود الخير والشر معًا فيها؛ امتحانًا للإنسان هل سيأخذ بأسباب الخير أم بأسباب الشر، لذلك فوجود الشر واقع في هذه الحياة، والتَّعَرُّض له حتمي لكل الناس، وهو شيء ضروري في الحياة؛ لأنك به تعرف الخبيث من الطيب؛ لذا لا ينبغي على الإنسان الحزن من التَّعَرُّض للشر؛ فهو شيء طبيعي وضروري.

<u>لماذا لا يجب أن نحزن من تعرضنا للشر؟</u>

1- لا يوجد إنسان لم يتعرض للشر؛ لأنه واقع.

2- إن الشر عندما يصدر عن شخص يعرف حقيقته التي من غير الممكن معرفتها دون أن يصدر منه الشر، وأيضًا تُعْرَف قيمة الإنسان الطيب الذي لم يصدر منه شر بالمقارنة بغيره.

3- تَعَرُّضُك للشر لك عليه أجر إذا صبرت؛ فمرحبًا بالشر.

يقول الشاعر[1]:

مرحبًا بالخطب يبلوني إذا * كانت العلياء فيه السببا

---

(1) قصيدة (لا تلم كفي إذا السيف نبا) لشاعر النيل (حافظ إبراهيم)- ديوان (حافظ إبراهيم).

4- يجعلك تتجنب أن تتسبب فيه للآخرين؛ لأن تجربة التَّعَرُّض لموقف مؤذٍ تجعلك تعرف كونه مؤذيًا، وربما لم تكن تعرف ذلك دون تجربة.

5- أنت عندما تعرف تجربةً تأذيت منها، وتنصح غيرك بتجنبها؛ تكسب ثواب النصيحة.

6- الآية الكريمة:

{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا }(التوبة51)

إن الشر كثير في البشر، ويجب عليك أن تعرف أن الشر في الإنسان لا يرحم مريضًا ولا ضعيفًا، كما أن النَّصَب لا يُفَرِّق بين غني وفقير، أو بين صحيح ومريض، أو بين كبير وصغير.

وإن أهل النار أكثر من أهل الجنة كما دل حديث بعث النار في الصحيح، وقال نبي الله سليمان لابنه: "يا بني! لا تعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا؟!".[1]

<u>لماذا لا يجب أن نخشى الأشرار؟</u>

الأشرار قسمان: قسم يصدر عنه مواقف شريرة، وهؤلاء مشكورون؛ لأنهم أفصحوا عن أنفسهم وجعلونا نتجنبهم في المستقبل -تجنب الناس لا يكون بالهجر؛ فهو منهي عنه، ولكن بالحذر منهم. انظر (الهجر) في نهاية الفصل الثاني من الباب السادس- وقسم لا يصدر عنه شر، إنما شره كامن داخله، وهؤلاء لا ضرر منهم؛ إذن ليس هناك ما يدعو للقلق.

---

(1) المنتخب من وصايا الآباء للأبناء (ص: 16).

obeikan.com

الحكمة من الشر:

كل شيء يحدث في هذه الدنيا يكون لحكمة، حتى لو كانت غير ظاهرة، ولكن من الحكم الظاهرة للشر أنه اختبار للعبد هل سيصبر أم سيجزع، وفرصة للثواب للصابرين، وطريقة وبرهان لمعرفة الإنسان الشرير عندما يصدر منه شر، وبه تُعْرَف قيمة الإنسان الطيب الذي لم يصدر منه مواقف شر عندما تقارنه بغيره.

في المقابل فإن الخير موجود ولكنه خفي، ونحن لا نتوقف عنده ولا نركز عليه، كما أن معظم الخيرين يفعلون الخير في الخفاء ولا يحبون الإعلان عنه.

وجدير بالذكر أن الشيطان عندما يوسوس للإنسان بالشر يضع لنفسه أكثر من شخص كهدف للوسوسة في نفس الواقعة، ويجعلهم يتكاملون ويتعاونون في الجريمة، فيوسوس لكل واحد منهم دوره في الجريمة وتسهيلها لبعضهم البعض، أي أن الشيطان لا يوسوس لك وحدك في نفس الموضوع ونفس الواقعة، بل يوسوس لكل من يشترك فيها كل حسب دوره.

obeikan.com

الباب السادس

"الصلاة وحدها لا تكفي"

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

(الجهل والمسئولية)

الواقع أن كثيرًا من الشباب -بحسن نية- يكتفون بحفاظهم على الصلاة، ويركنون إلى ذلك معتقدين خطأ أنهم وصلوا -بمجرد حفاظهم على الصلاة- لأقصى درجات الإيمان متكبرين على غيرهم من الناس، ومعتقدين أيضًا أن الإسلام صلاة وصيام فقط، وأن المسلم إذا صلى الفروض الخمسة وصام رمضان وبعض النوافل فهو أفضل من كل الناس، غافلين عن غير قصد -والله أعلم- عن أخطاء[1] قد تدخلهم النار رغم أنهم يحافظون على الصلاة، والواقع أن الصلاة على أهميتها وكونها أول خطوة على طريق الإيمان، إلا أنها أسهل خطوة[2] -كما أتصور- وقد لا يكون فيك أنت شيء من هذه الأخطاء، أو لم تر

---

(1) اقتصرت في كتابي هذا على بعض ما نَصَّت وصَرَّحَت به السنة النبوية الشريفة باللفظ بعدم دخول صاحبه الجنة أو نصت بدخول صاحبه النار ويشيع بين الشباب فعله، وإلا فإنه على المسلم اجتناب الكبائر والذنوب عمومًا.

(2) لا يمكن تعليل ترك الصلاة بأن ذلك بسبب صعوبتها أو بسبب الكسل؛ لأن معظم تاركي الصلاة يبذلون مجهودًا أكبر من مجهود الصلاة في عملهم مثلًا بسبب طبيعة عملهم أو في غير ذلك، ونحن لا نرى مصليًا خارجًا من المسجد وهو يلهث أو مرهقًا من التعب، إذن المسألة مجرد حاجز نفسي ليست مسألة تعب، بل إن الصلاة فرصة لتجديد النشاط والراحة، ولكن السبب أنهم لا يدركون أهمية الصلاة وخطورة تركها، كما أن الله -سبحانه وتعالى- لا يحاسبنا على الصلاة فورًا، وقد قلت في الفصل الثالث من الباب الثالث في هذا الكتاب إن الطائعين لا يفعلون شيئًا خارقًا، وإن الفرق بين غير المصلي والمصلي فرق في الدافع فقط الذي دفعه للسؤال عن أهمية الصلاة وخطورة تركها.

هذه الأخطاء في الشباب الذين عرفتهم، ولَكِنّي أكتب عن كثير من الشباب الذين رأيتهم في تجاربي الشخصية، وعندما اقتربت منهم عرفت أن أخطاءهم غير مقصودة وغير متعمدة وسلامة النية متوفرة، والواقع أن الشيطان عندما ييأس من إبعاد المسلم عن الصلاة وتكسيله عنها، يبحث عن جانب آخر من جوانب الإيمان يدخل للإنسان منه ويوقعه في المعصية، ومن الجدير بالذكر إنه حتى من لا تصدر عنهم هذه الأخطاء فإنهم يتجنبونها كنوع من بذل الخير والتَّفَضُّل، ولا يعلمون أن الدين حَرَّمَهَا صراحةً،[1] ونفى دخول الجنة عن صاحبها، ولا يعلمون خطورة الوقوع فيها؛ لذلك فهم أحيانًا يقعون في بعضها من غير قصد، وللأسف فإن الناس ينقسمون لفئة محافظة على الصلاة، وفئة غير محافظة عليها، وحتى المحافظون على الصلاة لا يسلمون من معاصٍ- بسبب جهل معذور أو غير معذور- ويتمسكون بظاهر الدين فقط.

إمكانية دخول المصلي النار:

"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى جَعْدَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلاَنَةَ تَذْكُرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلاَنَةَ تَذْكُرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاَتِهَا، وَأَنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ".[2]

---

(1) وذلك ناتج من أن الآباء والأمهات عند توجيه أبنائهم يقولون لهم ذلك (عيب)، والأفضل أن يقولوا: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا يدخل الجنة كذا مثلًا؛ فيدرك الابن خطورة تقصيره.

(2) مسند أبو هريرة - مسند أحمد (9926).

إذن فكما قرأتَ، بالرغم من كثرة صلاة هذه المرأة، أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها في النار، وفي هذا دليل كافٍ على إمكانية دخول المصلي النار -وقانا الله حرها- في الآخرة بمشيئته.

مسئوليتنا عن أخطاء غير متعمدة:

ذكرت في هذا الكتاب الذي بين يديك [1] أنه يشترط توفر عنصر العلم ليكون الإنسان مسئولًا عن القيام أو عدم القيام بعمل ما، وبالتالي يكون مُحَاسَبًا عليه، وأن الإنسان إذا كان جهله بالأحكام ناتج عن تقصير في طلب العلم (أي جهل غير معذور)، يُعَدّ مسئولًا عن أخطائه، وإلا لاكتفى كل إنسان بما يعلمه من تعاليم دينية؛ حتى تسقط عنه التكاليف التي لا يعلمها، لذلك فبالرغم من عدم علمنا بخطورة هذه الأخطاء وعدم تنبهنا لها، فنحن مسئولون ومحاسبون عليها؛ بسبب تقصيرنا في تعلم أحكام ديننا.

وتخبرنا السنة الشريفة أن الكلمة قد تدخلنا النار، حتى لو كانت غير ملحوظة بالنسبة لنا أو غير مقصودة، ففي الحديث: "حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ- عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ".[2]

(1)الباب الثاني - الأسباب.

(2)صحيح البخاري - الرقائق - (6478).

فلا يجب أن يستهين المسلم حتى بالكلمة التي تصدر منه، وعليه أن يراقب أفعاله وتصرفاته، هل هي موافقة أم مخالفة لشرع الله.

وسأقوم باقتباس ما يؤيد كلامي من أحد المراجع الفقهية:[1]

"الأصل أن الجهل بالأحكام الشرعية في دار الاسلام لا يكون عذرًا؛ لأن دار الإسلام دار العلم وشيوع الأحكام، وتَنُصُّ إحدى القواعد الفقهية بأن الجهل بأحكام الشرع مع التمكن من العلم لا يسقط أحكامها، كما أن دار الإسلام دار العلم وشيوع الأحكام، فلا يُعْذَر أحد بترك العلم بأحكام دينه".

كما ورد أيضًا: [2]

<u>والجهل أنواع:</u>

1- الجهل باطل لا يصلح عذرًا في الآخرة، كجهل الكافر بصفات الله تعالى، وأحكام الآخرة، وصاحب الهوى، وجهل الباغي حتى يضمن مال العدل إذا أتلفه، وجهل من خالف في اجتهاده الكتاب والسّنّه المشهورة أو الإجماع.

2- جهل في موضع الاجتهاد الصّحيح أو في موضع الشبهة، فهذا يصلح عذرًا أو شبهة.

3- جهل في دار الحرب من مسلم لم يهاجر، فإنه يكون عذرًا، ويلحق من نشأ في بادية بعيدة، أو مكان قاصٍ ولم يعرف أحكام الإسلام.

4- جهل بموجب الحكم الشرعي وسببه، فيعتبر عذرًا حتى يعلم بسبب الحكم، كجهل الشفيه ببيع المشفوع به.

---

(1) موسوعة القواعد الفقهية (46/3)، (47/3) .
(2) موسوعة القواعد الفقهية (43/12).

obeikan.com

ومما لا يعذر بالجهل به يتعلق به حق الغير، فلا يعذر الجاهل فيه بجهله، وما لايتعلق به حق غيره إن كان لا يسعه ترك تعلمه كالعبادات وفروض العين، لا يعذر بجهله أيضًا، إن كان مما يسعه ترك تعلمه عذر فيه بالجهل.

الخلاصة أن الجهل وحسن النية لا يقبلان كأعذار في أغلب الأحوال؛ لأن المسلم مُطَالَب بتحري الصواب: قال -صلى الله عليه وسلم-: "سددوا وقاربوا".[1]

<u>الواجب على المسلم إذا أخطأ عن جهل:</u>

يجب على المسلم إذا أخطأ عن جهل التوبة إلى الله، قال -تعالى-:

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (النساء 17)

وقال تعالى{ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(الانعام 54)

وقال -جَلَّ شأنه-:[ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل119)

ومن جميل ما قرأت أن العبد بعد التوبة النصوح خير منه قبل الذنب.[2]

فإذا اكتشفت في أفعالك شيئًا مخالفًا للشرع لم تكن تلحظه أو لم تكن تدرك أنه حرام، فسارع بالتوبة والإقلاع عما يغضب الله؛ وستجد الله -سبحانه وتعالى- غفورًا رحيمًا، وأنصح كل أب قبل بلوغ أبنائه وكل معلم أن يقوم

---

(1) صحيح البخاري - الرقاق (6463).
(2) شفاء العليل - ابن القيم - ص (202).

بغرس شيئين لديهم هما: الشيء الأول هو المحافظة على الصلاة، والشيء الآخر هو اجتناب الكبائر، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع". وصدق والله ابن عباس،[1] مع ملاحظة أن الإصرار على الصغيرة يعده العلماء كبيرةً،[2] وقيل أيضًا: إنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار[3]-بتحذيرهم من أكثر الكبائر شيوعًا في عصرنا؛ فهو بذلك يكون قد وَفَّر على أبنائه وعلى المجتمع الكثير، وفي نفس الوقت يكون قد أخلى مسئوليته أمام الله نحو أبنائه.

دعاء مفيد عند التوبة من الذنب:

هذا الدعاء عام وجامع، يمكنك الدعاء به بعد كل صلاة، فيُسْتَحَبُّ أن يقرأ العبد سورة الناس، ثم يقول: "اللهم إني فوضتك أن تمنعني من أي معصية حتى لو كانت غير ظاهرة لي أو كنت جاهلًا بها، وأن تعرقل لي أي معصية". وليس معنى هذا أن العبد إذا لم يجد عراقيل أمام المعصية يجوز له أن يقدم عليها، ولَكِنَّ هذا الدعاء يثبت به العبد صدق توبته، وعزمه على عدم الاقتراب من المعصية.

---

(1) كتاب (الكبائر) للذهبي ص (2).
(2) كتاب (الكبائر) للإمام محمد متولي الشعراوي ص (12).
(3) كتاب (الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب (المقدمة).

(الفصل الثانى)

(نفي دخول الجنة)

وردت عبارة (لا يدخل الجنة) صراحةً وحرفيًا بنفس هذا اللفظ في السنة الشريفة في قاطع الرحم والنمام وجار السوء والمتكبر والفظ وسيء الملكة[1] والخب[2] والبخيل والمنان والعاق ومدمن الخمر والخائن والكاهن وآكل الحرام والمكذب بالقدر وغير المؤمن والمتهاجران وصاحب المكس،[3] وسأتعرض هنا لست خصال منهم فقط.

1- <u>قطع الرحم</u>: وتضمنته السنة الشريفة في الحديث التالي:

"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "<u>لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ</u>". [4]

كثير من الناس يحافظ على صلة الرحم، ولكن كباب من أبواب الخير، وليس لعلمهم بخطورة هذه المسألة إذا تركوها، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم-

---

(1) إذا ملك رقيقا أساء إليهم.

(2) الخدَّاع.

(3) من يجمع الضرائب عند المنافذ التجارية.

(4) الأدب - صحيح البخاري (5984).

صَرَّح في الحديث الشريف بأن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، ولجهله -مع سلامة نيته- بخطورة هذه المسألة قد يتوانى ويقصر في صلة بعض رحمه.

وقد عظم الله شأن الرَّحِم في كتابه، فقال -سبحانه-:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء 1)

وقال -جَلَّ وعَزَّ-:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل 90)

وحَذَّر -سبحانه- من قطيعة الرحم، فقال -سبحانه-:

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(22) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ(23) }(محمد)

ورَغَّب نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في صلة الرحم في التالي:

"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ -وَاللَّفْظُ لأَبِي بَكْرٍ- قَالاَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ".[1]

---

(1) البر والصلة والأدب - صحيح مسلم (6683).

- "حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ".[1]

والأحاديث كثيرة، وهي تدل على أهمية صلة الرحم، وفي المقابل خطورة قطع الرحم.

ولا يجوز شرعًا أن يكون وقوع القريب في ذنب سببًا لقطيعته، بل الاستمرار في وصله، وتقديم النصيحة له، ومحاولة بذل المستطاع في هدايته إلى الحق، ولنا فيما جاء عن رسولنا -صلى الله عليه وسلم- من تَصَبُّر المؤمن على الصلة - ولو تَأَذّى بصلته- فقد جاء في صحيح مسلم: "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلاَءَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ".[2]

2-الكِبْر: دعوني أُذَكِّرُكم بهذا الحديث الشريف الذي نمر عليه مرورًا عابرًا:
"وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ -قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ-، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:

---

(1) البر والصلة والأدب - صحيح مسلم (6687).
(2) البر والصلة والأدب - صحيح مسلم (6689).

"لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ".[1]

في الواقع كلما قرأت هذا الحديث خشيت أن كل الناس تقريبًا -والله أعلم- لن تدخل الجنة، لكن ما هو الكبر؟ وكيف نكتشفه في أنفسنا؟ الكبر هو تحقير الغير، والكبر من المسائل الخفية على الكثيرين، ويقع فيه الكثيرون مع صلاتهم وحسن نواياهم دون قصد -والله أعلم-، فكم مرة تجاهلك إنسان! وكل وظيفة أو عمل تقريبًا قابلة لأن يدخل فيها الكِبْر ولو بمقدار بسيط، وأبسط الكبر هو التجاهل، وكم هو شائع في عصرنا الحديث! وأقصد بالتجاهل هنا التجاهل المتعمد الذي يكون فيه تحقيرًا للغير؛ لذا على المقبل على أي عمل الحذر كل الحذر ألا يقع في الكبر.

وإدراك أن أمامه مسئولية عظيمة وأنه أمام خطر حقيقي غير ملحوظ وسهل الوقوع فيه، فلا يقابل أحدًا يتعامل معه زميلًا كان أو عميلًا بالتجاهل -حتى دون قصد-، وليس من أجل الكِبْر فقط يكون العبد أمام مسئولية كبيرة في عمله، ولكن لأنه نَدَرَ أن يكون هناك عمل ما دون مخالفات يأمر بها رب العمل قد يفقد الإنسان وظيفته إذا رفض القيام بها، ويجب ملاحظة أن كل صاحب عمل مسئول عن موظفيه أو عامليه إذا كانوا متكبرين في العمل وليس عن نفسه فقط.

---

(1) الإيمان - صحيح مسلم (275).

obeikan.com

"حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضى الله عنهما- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أهله رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".[1]

وللإيضاح يوجد حالتان يمكن أن يقع فيهما الكِبْر: الأولى اختلاف المراتب، والثانية الحاجة.

أولًا: اختلاف المراتب: (وهو سبب كِبْر إبليس لعنه الله)

قد يكون اختلاف الرتبة بسبب العمر أو المرحلة العمرية (فيتجاهل الكبير الصغير)، وقد يكون اختلافًا في المنصب، وقد يكون اختلافًا فيما يملكه المرء من مال، وقد يكون بسبب الصحة، وقد يكون بسبب الجمال أو المهارة في العمل أو النسب، وقد يكون بسبب الاجتهاد في العبادة.. إلخ. فأي صفة يكون الناس فيها مراتب رتبةً عالية ورتبةً أعلى ورتبةً أقل وهكذا، وغالبًا ما يقع في الكبر -لا شعوريًا- صاحب الرتبة الأعلى تجاه صاحب الرتبة الأقل، وأحيانًا يكون الابن أكثر حكمةً من أبيه، والعامل أمهر من رئيسه في العمل، والتلميذ أذكى من معلمه، ويتعرض الأول للتجاهل والاضطهاد وربما العقاب لا لشيء، وإنما لأن

(1) صحيح البخاري – الاستقراض - (2409).

السلطة في يد الآخر (الأعلى في الرتبة)، فالتجاهل نوع من الكِبْر (التجاهل المتعمد).

ومن الجدير بالذكر أن الناس من حولنا صِنْفَان: صِنْف أقل منا في الرتبة (في صفة أو أكثر)، وصنف أعلى منا في الرتبة، وليس بالضرورة أن نكون نحن أفضل (عند الله) ممن هم دوننا في الرتبة، وليس بالضرورة أن يكون الذين هم أعلى منا في الرتبة أفضل منا، إنما هي القسمة والنصيب، والذي يقول إن ما وصل إليه من مرتبة عالية بمجهوده واستحقاقه أقول له شيئين: الأول إن هناك من الناس مَنْ بذل نفس مجهودك أو أكثر (كأن حصل على نفس شهاداتك العلمية) ولم يحصل على نفس فرصك في العمل، وبالتالي كانت رتبته أقل، والشيء الثاني الذي يدل على أن المسألة قسمة ونصيب أن القسمة والنصيب والظروف المواتية (الأسباب - انظر الباب الثاني من هذا الكتاب) هي التي أتاحت لك أصلًا أن تبذل ذلك المجهود الذي أوصلك إلى ما أنت فيه، وبالتالي تصل لتلك المرتبة العليا، ولو أتيحت نفس هذه الأسباب لكثيرين غيرك؛ لحققوا نفس المرتبة، وهكذا رأينا أن علو الرتبة لا يدل على أفضلية، وما دام لا يدل على أفضلية فليس هناك سبب لتكبر إنسان على آخر. الذي يجب أن يعرفه الجميع أن المال والمنصب والسلطة هم مسئولية واختبار أكثر منهم أفضلية.

ثانيًا: الحاجة:

في المعاملات بين الناس يوجد دائمًا صاحب مصلحة (العميل) وصاحب سلطة إنجاز المصلحة (الموظف أو البائع)، وغالبًا ما نرى تَكَبُّر الموظف -لعلمه بحاجة العميل إليه- أو البائع دون قصد ولا شعوريًا بحكم الموقف، وهذا غير

محتاج لضرب أمثلة؛ لأنه من المعروف للجميع ماذا يحدث من تَحَكُّم عندما يذهب مواطن عادي لقضاء مصلحة ما في جهة عامة.

ومن الأماكن التي ينتشر ويشيع فيها الكِبْر المدارس والجامعات، سواءً تَكَبُّر المعلم (يتكبر بعلمه وسلطته) على التلميذ أو العكس (التلميذ يتكبر بمركز أبيه)، دون الدخول في تفصيل ذلك؛ لأنه معروف.

في الواقع أحزن كثيرًا عندما أرى مُصَلِّيًا يُضَيِّع صلاته ويقع في الكِبْر عن غير قصد، وأبسط الكِبْر هو التجاهل، وكم هو شائع بين الجميع!

أيضًا من صور الكِبْر السخرية، وقد نهى الله -تعالى- في كتابه الكريم عنها، قال -تعالى-:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الحجرات 11)

وإذا راقبنا مشهد الناس اليومي في كل مكان نجد أنه ليس هناك تسامح أو تنازل. ما المانع أن نشتري الجنة بالتسامح والعفو؟ ولو طبقنا الحديث الشريف الذي ينفي دخول الجنة صراحةً عن المتكبر حرفيًا، فكم فرد لن يدخل الجنة! إن المسألة جد خطيرة أخي القارئ، فلنُعَلِّم أنفسنا الصفح والعفو عن الآخرين.

<u>علامات الكِبْر:</u>

أهم علامة من علامات المتكبر عدم الاعتذار للغير إذا أخطأ في حقه، أو عدم قبول اعتذار الآخر، وأيضًا عدم شكر الخدمة، وأيضًا عدم تهنئة الآخرين في مناسباتهم.

وأقترح أن يُكْتَب الحديث الشريف الخاص بالكِبْر على لوحة، وتعلق اللوحة في كل جهة عمل أو مصلحة أو محل تجاري.. إلخ؛ حتى نتذكره جميعًا.

3-الغِلْظَة: لنتأمل مليًا هذا الحديث:

"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالاَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ".[1]

غالبًا ما يقترن الكِبْر بالغلظة، بمعنى آخر يتم التعبير عن الكِبْر في صورة غلظة، ومن صور الغلظة الخشونة في الكلام. في الواقع أحزن من أسلوب بعض المصلين في التنبيه مثلًا لإغلاق الجوال في المسجد. إن الخشونة في الكلام شائعة حتى في المسجد والمستشفى، وحتى من المصلين.

11- البُخْل والمَنّ: فلنتأمل سويًا هذا الحديث:

"حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى عَنْ فَرْقَدٍ السَّبَخِيِّ، عَنْ مُرَّةَ الطَّيِّبِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ[2] وَلاَ مَنَّانٌ وَلاَ بَخِيلٌ".[3]

البخيل معروف، ولَكِنَّ المنان هو الذي يعدد للناس أفضاله عليهم ويذكرهم بها، وفي المعتاد أنَّ المصلي لا يَمُنُّ على غيره، ولكن عندما يختلف الأصدقاء فإنه لا شعوريًا وتلقائيًا يذكِّر أحد الصديقين الآخر بخدماته ومواقفه السابقة معه؛

---

(1) الأدب - سنن ابو داود (4803). وَالْجَوَّاظُ: الْغَلِيظُ الْفَظُّ.
(2) مخادع.
(3) البر والصلة - سنن الترمذي (2090).

عتابًا له، مثلًا يقول: ألست أنا الذي فعلت كذا؟ أو تقول الزوجة ألست أنا التي تخدمك أنت وأولادك؟ أو يقول الزوج ألست أنا الذي كذا وكذا؟ أو الابن يقول ألست أنا الذي يشترى حاجيات المنزل؟ وفي هذا -مع كونه مجرد عتاب- اقتراب من المَنّ المنهي عنه.

5- نقص الإيمان:

وقد ورد في الحديث: "أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ بِبَغْدَادَ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُغِيرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مُحَرِّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حَيْثُ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِبَرَاءَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحَلَ صَوْتِي، قُلْتُ: يَا أَبِي بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تُنَادِي؟ قَالَ: أُمِرْنَا أَنْ نُنَادِيَ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَهْدٌ فَأَجَلُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتِ الأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ عُرْيَانٌ، وَلاَ يَطُوفَنَّ بِالْكَعْبَةِ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ أَوْ بَعْدَ الْيَوْمِ مُشْرِكٌ."[1]

وممن نفى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الإيمان عنهم ثلاثة: هم غير المحب لأخيه، والمسيء لجاره، وغير المؤمن بالقدر، وفي التالي الحديث الخاص بكل خصلة منهم:

أولًا: غير المحب لأخيه: "حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه".[2]

(1) سنن البيهقي – كتاب السِّيَر (18406).
(2) صحيح البخاري – الإيمان (13).

وحب المسلم لأخيه المسلم سلوك جامع لكل فضيلة ومانع من كل كبيرة، فأنت إن أحببت أخاك لم تهجره ولم تتكبر عليه ولم تغلظ عليه ولن تسيء إليه ولن تمن عليه.. إلخ.

ثانيًا: المسيء لجاره: "حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الذي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ". [1]

ثالثًا: المُكَذّب بالقَدَر: حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ". [2]

ولا يفوتني هنا أن أتناول بالذكر الاعتراض على القدر كسلوك منهي عنه في ديننا.

ولاحظ هنا أنك إذا قارنت نفسك بالكمال؛ لوجدت أنه ينقصك الكثير وأحزنت نفسك، بينما إذا قارنت نفسك بالعدم لوجدت أن لديك الكثير وأرحت نفسك.

معظمنا يقيس نفسه بالناجحين والأغنياء والأصحاء، فيقول أنا مصاب بكذا وكذا، ولماذا كتب عليَّ الله كذا، في حين أنه لو اطلع على كتب الطب لوجد بالتأكيد أن هناك أمراضًا كثيرةً وعديدةً قد نجاه الله منها، وحتى لو كان العبد

(1) صحيح البخاري - الأدب (6016).
(2) سنن الترمذي - القدر (2294).

مصابًا بأمراض الدنيا كلها، فإن هذه الابتلاءات هي التي ترفع من درجاته يوم القيامة، لهذا فمن الأدب مع الله ألا تعدد مصائبك ولَكِن عدد المصائب التي نجاك الله منها. إن الصحة والمرض كليهما يستحقان شكر الله -سبحانه وتعالى-.

قواعد مفيدة لعدم الاعتراض:

إذا هممت بالاعتراض على أمر من أمور حياتك، فتذكر هذه القواعد:

1- كن قنوعًا وعَلِّم نفسك الرضا بقضاء الله؛ لأنه شرط لحسن الأدب مع الله.

2- عَدِّد نعم الله عليك، ولن يكون فارقًا كبيرًا أن تُحْرَم من شيء أو بضعة أشياء أمام باقي نعم الله.

3- انتظر، فلربما تتحقق أمنيتك التي حرمت منها وأكثر في المستقبل بعد فترة من الصبر من طريق آخر غير الذي خطر ببالك.

4- إن الصبر على الشدة لك عليه أجر، وانتظار الفرج عبادة.

5- اعلم أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، ونصيبك محجوز لك، ولن يفوتك مادمت تسعى إليه.

6- تَذَكَّر أن الكمال لله وحده، ولا يوجد إنسان حصل على كل ما يتمناه.

7- كل شيء يصيب الإنسان يكون لحكمة، حتى لو كانت غير ظاهرة له.

8- عندما يحجب الله عنك شيئًا تمنيته فاعلم أن ذلك لمصلحتك.

9- إذا تمنيت شيئًا ولم يتحقق تخيل أنه لم يوجد من الأصل وأَرِح نفسك.

10- تذكر المثل القائل: (قضاء أخف من قضاء).

11- عندما تعاكس المسلم الظروف يبدأ في مراجعة نفسه، ويقلع عن كل معصية كان غافلًا عنها.

12- تَذَكَّر الآية:

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقره 216)

13- تذكر الآية الكريمة:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الحج 11)

13- قال سفيان بن عينية[1] –رحمه الله-: "ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه". وتذكر دائمًا أنه ليست المشكلة في المصاب الذي يصيب الإنسان، ولكن المشكلة في رد فعله نحوه.

---

(1) شعب الإيمان (12/ 369)، وسفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي، إمام ومحدث شهير، وعُرِف بالزهد والورع، وقد ولد في الكوفة سنة 107 هـ، وتوفي 198 هـ. أجمع الناس على صحة حديثه وروايته. طلب العلم وهو غلام، وروى الحديث عن الكبار، ومنهم: الزهري وأبي اسحق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المكندر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغيرهم.

و روى عنه عدد كبير من العلماء الأجلاء والأئمة الكبار، منهم: الأعمش، وابن جريج، وشعبة بن الحجاج –وهؤلاء من شيوخه- وهمام بن يحيى، والحسن بن حي، وزهير بن معاوية، وحماد بن زيد، وإبراهيم بن سعد، وأبو إسحاق الفزاري، ومعتمر بن سليمان، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، والشافعي، وعبد الرزاق، والحميدي، وسعيد بن منصور، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وإبراهيم بن بشار الرمادي، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وإسحاق بن راهويه وغيرهم خلق كثير. (من موقع ويكيبديا الإلكترونى على الإنترنت).

الطريف أن الإنسان يجب عليه ألا يحزن من المصائب التي يصاب بها أبدًا، والأطرف أنه يجب عليه أن يفرح بها؛ لأن تلك المصائب هي التي ترفع من درجاته في الجنة. ففي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ".[1] وبالتأكيد توجد مصائب كبيرة من الصعب تَحَمُّلُها، أو تحتاج بعض الوقت حتى ينساها الإنسان، ولكن عظم الجزاء مع عظم البلاء. عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ"[2]، ومصدر الاعتراض هو وسوسة الشيطان الذي يستغل أي موقف ليقلبه إلى اعتراض، ويكون هو المتسبب في هذا الموقف أصلًا بوسوسته للإنسان، فالشيطان يسعى دائمًا للإيقاع بين المسلم وربه، عن طريق تزيين الكسل والراحة للإنسان؛ فيضيع مصلحته، وفي النهاية يحزن الإنسان،[3] ويلوم الله على ما يتصوره ظلم منه وحرمان له من المصلحة، ولكن إذا راجع الإنسان نفسه يجد أنه هو الذي ضيع الأسباب التي أعطاها له الله. أمّا إذا كان الإنسان لم

يكسل وضاعت مصلحته، فليعلم أن الخير في ذلك. وكرم الله لا شك فيه لكل الناس حتى المريض والفقير.كما ورد في الحديث: "أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ النَّصْرَآبَاذِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُهَيْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِغْرَاءَ الدَّوْسِيُّ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: يَوَدُّ أَهْلُ

---

(1) صحيح البخاري – المرضى – (5645).
(2) سنن الترمذي – الزهد – (2576).
(3) يقول ابن القيم في كتاب: (طريق الهجرتين وباب السعادتين) ص(279): "...ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن".

الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلاَءِ".[1]

ومن كنوز الدعاء ما ورد في الحديث التالي، وفيه ما يستحب من دعاء عند المصيبة: "وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ سَفِينَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّي أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؛ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-".[2]

6- الهجر:

من المعاصي التي يسهل الوقوع فيها أن يهجر المسلم أخاه المسلم لسبب ما؛ لخلاف من تدبير الشيطان، حيث إن الشيطان عندما يرى شخصًا ودودًا ومحبًا للناس، والود بينهم قوي يتضايق، ويحاول أن يفسد الود بين الناس، فيستغل هفوةً غير مقصودة من أحدهم تؤذي مشاعر آخر، فيوسوس للآخر بقطع علاقته بالأول؛ ثأرًا لكرامته، وهكذا يدخل الشيطان بين الناس. والشيطان عندما يوسوس للإنسان بالهجر يستهدف أقرب الناس إليك، كأقربائك أو أصدقائك القدامى، وأشد الهجر قطع كل صلة تربطك بشخص، لذا احرص ألا تقوم بحذف اسم صديق أو قريب من قائمة الأسماء في هاتفك الجوال، أو من قائمة

(1) سنن البيهقي – كتاب الجنائز (6791).
(2) صحيح مسلم – الجنائز (2166).

عناوين البريد الإلكتروني لأصحابك على موقع البريد الالكتروني الخاص بك، أو من قائمة أصدقائك في حساب موقع التواصل الاجتماعي الخاص بك (مثل موقع الفيس بوك)، وقد ورد في السنة الشريفة: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ عَنْ مُعَاذَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ؛ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا يَكُونُ سَبْقُهُ بِالْفيءِ كَفَّارَةً لَهُ، وَإِنْ سَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلاَمَهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ وَرَدَّ عَلَى الآخَرِ الشَّيْطَانُ، وَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلاَ الْجَنَّةَ جَمِيعًا أَبَدًا".[1]

وورد أيضًا: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الذي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ". [2]

والحكمة من النهي عن الهجر أنه ربما ومن المحتمل أن تكون فهمت الآخر خطأ وهو لا يقصد إيذاءك، فلا يصح أن تبني تصرفاتك نحو الغير على أساس ظن قد يكون خاطئًا وتخسره إلى الأبد، وهو قد يكون مظلومًا غير متعمد للإساءة. وينبغي أن نعرف جميعًا أن الشيطان يستغل الأخطاء والهفوات غير المُتَعَمَّدَة من الآخرين لحملك على هجرهم، ولا أحد يخلو من الهفوات ولا أحد بدون مميزات،

---

(1) مسند أحمد - حديث هشام بن عامر الأنصاري (16695).

(2) سنن الترمذي – صفة القيامة – (2696).

فتَجَاوَز عن الهفوات واكسب المميزات، فكل شخصية تتكون من جوانب متعددة[1] بعضها إيجابي والبعض الآخر سلبي، والفرق بين الناس وبعضها في عدد الجوانب الايجابية وعدد الجوانب السلبية. إن الشيطان هو الذي يصور لنا بشاعة البشر؛ ليحدث قطيعةً بين الناس وبعضها، وإن الشرير -إذا كان شريرًا فعلًا- ممكن له أن يتوب، ولكن إذا كان الآخر يرتكب معصيةً فلا تشاركه في معصيته ولا تهجره، وصِلْه بما لا يضرك، فإذا كانت لك علاقات طيبة بمن حولك ناتجةً من أنك إنسان ودود ومحب للناس فاحذر الشيطان؛ لأنه سيحاول إفساد هذه العلاقات في أية فرصة، والشخص الحكيم هو الذي يحاول ألا يخسر أحدًا.

(1) كما قلت في الفصل الأول من الباب الخامس (القاعدة الثالثة).

obeikan.com

(الفصل الثالث)

(دخول النار)

ورد ذكر دخول النار صراحةً وحرفيًا بنفس هذا اللفظ في السنة الشريفة في حالات معينة، أبرزها شرب الخمر والشرك بالله والمتعلم للمباهاة وكاتم العلم والمكذب بالقدر والآمر بالمعروف ولا يفعله والقاضي الجائر، وسأتعرض لبعضها في التالي.

1- المتعلم للمباهاة:

"أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلاَّمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ -هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَدِّبُ- عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لأَرْبَعٍ دَخَلَ النَّارَ -أَوْ نَحْوَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ- لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَوْ لِيَأْخُذَ بِهِ مِنَ الأُمَرَاءِ".[1] وهكذا فإن سلوكًا ما قد يُدْخِل الجنة، ونفس السلوك -إذا فسدت النية معه- يُدْخِل صاحبه النار، فعلى المسلم قبل القيام بأية طاعة إخلاص النية لله -تعالى-.

---

(1) سنن الدارمي – كتاب المقدمة (375).

obeikan.com

2- المُكَذّب بالقَدَر: وفيه ورد الحديث التالي:

"فَأَتَيْتُ زَيْدًا بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّهُ إِنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ".[1]

3- الآمر بالمعروف ولا يعمله: وقد ورد في السنة الشريفة هذا الحديث:

"حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لأُسَامَةَ أَلاَ تُكَلِّمُ هَذَا؟ قَالَ: قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ، وَمَا أَنَا بِالذي أَقُولُ لِرَجُلٍ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ أَنْتَ خَيْرٌ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ". [2]

4- كاتم العلم: وقد ورد ذكر كتمان العلم في الحديث التالي:

"حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ

---

(1) سنن البيهقي - كتاب الشهادات (21399).

(2) صحيح البخاري – الفتن (7098).

فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".[1] وفي المعتاد، فإن المسلم لا يبخل بالعلم على غيره، ولكنني ذات مرة أرسلت رسالة بريد إليكترونى لأستاذ جامعي غني أستعلم فيها عن نقطة في تخصصه، فَرَدَّ عليَّ هو -أو ربما سكرتيره- بأن طلب مني أن ألتحق بدورة في معهد -ربما يملكه أو يُدَرِّس فيه- وأرفق في الرد رقم هاتف جوال.

فائدة: مما سبق يمكننا أن نستنتج أن الإنسان من السهل أن يقع في إحدى المحرمات إذا لم يكن يعلم أنها حرام، أو إذا كان لا يراقب نفسه ويحاسبها، وأخص هنا خصلتي الكِبْر والاعتراض؛ لأنهما الأكثر انتشارًا، ولأنه بالنسبة للكبر حذرنا الحديث الشريف حتى من مثقال الذرة من الكبر، وهو شيء يسهل الوقوع فيه على من لا يراقب نفسه، وبالنسبة للاعتراض فإن الفقير يعترض والغني يعترض والمريض يعترض والسليم يعترض، وقليل هو الراضي بنصيبه، ومن غضب الرب أن ينظر الإنسان إلى من هو أعلى منه في المال أو الصحة أو غيرهما.

---

(1) سنن أبو داود – العلم (3660).

obeikan.com

الباب السابع

"متفرقات"

obeikan.com

obeikan.com

الإسلام والطرق التربوية الحديثة:

كلما استمعت إلى الأطباء في القنوات الفضائية عندما يتحدثون عن أساليب التربية الحديثة، أجدهم يؤكدون على أهمية أن تنبه الطفل للخطأ قبل أن تعاقبه عليه، ليس هذا فحسب بل عليك أن تذكر له نوع العقاب الذي سيقع عليه إن أخطأ، والواقع أن المتدبر لآيات القرآن الكريم والسنة الشريفة يجد أن هذا بالضبط ما يفعله الخالق -سبحانه وتعالى- معنا، حيث نهنا في قرآنه الكريم وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- حيث روى لنا مشاهد مما سيحدث يوم القيامة -هَوَّنَه الله علينا بمشيئته تعالى- أي إنه ليس هناك عذر لأحد في هذا المجال ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تصف عذاب الآخرة، قال- تعالى-:

{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الاسراء15)

وقال تعالى

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ(44)} (الحجر)

وقال عز وجل:

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} (الحج 19)

قال تعالى:

{وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} (الاعراف 50)

ومن السنة الشريفة:

"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا". (1)

وأيضًا: "حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا بَكْرٌ -يَعْنِي ابْنَ مُضَرَ- عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ". (2)

وأيضًا: "حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ". (3)

الطاعة بُعْد نَظَر، والمعصية سوء تفكير وقلة عقل:

يظن كثير من الناس أن الطاعة شرط للإيمان فحسب، وأننا يجب أن نطيع الله لكي ندخل الجنة وننجو من النار فقط، ولكن -ولحسن الحظ- طاعة الله لها فوائد ملموسة وحكم بارزة في الحياة الدنيا، وسنتأكد من ذلك إذا نحن تابعنا الأبحاث الطبية والاجتماعية.. إلخ، وأمْعَنّا النظر بعقل مُفَكِّر عادل في تعاليم

---

(1) سنن الترمذي – صفة جهنم (2773).
(2) صحيح مسلم – الزهد والرقائق (7672).
(3) صحيح مسلم – الجنة وصفة نعيمها وأهلها (7348).

الدين من عبادات وأوامر ونواهٍ؛ فطاعة الله حسنة وطيبة حتى لو افترضنا أن ليس لها جزاء في الآخرة، فبعيد النظر سيطيع الله من أجل فوائد الاستجابة لأوامره والابتعاد عن نواهيه في الحياة الدنيا، ليس فقط لينجو من النار في الآخرة، في المقابل -ولنفس السبب- فإن العاصي سيء أو قليل ومحدود التفكير، لهذا أنصح إخواني بالالتزام بأوامر ونواهي ديننا كلها عمومًا، وليس ما اكتشف فوائده فقط؛ لأنه بالتأكيد الأبحاث المستقبلية ستثبت فوائد ما لم تُكْتَشَف فوائده بعد، ويجب ملاحظة أنه كلما عرفنا ديننا أكثر وبالتالى التزمنا أكثر كانت فرصة حصولنا على فوائد أكثر، أيضًا بالإضافة لفوائد العبادات، فإن تعاليم ديننا الحنيف من احترام المواعيد وإتقان العمل والصدق.. إلخ ليست للفوز بالثواب وخوفًا من العقاب فحسب، وإنما تصب كلها في مصلحة صاحبها في الحياة الدنيا ونجاح عمله، وقد تَوَصَّل الغرب لذلك؛ فأصبحوا يلتزمون باحترام المواعيد وإتقان العمل إلى غير ذلك من تعاليم سبقهم إليها الإسلام، ليس للفوز بالثواب أو خوفًا من عقاب؛ ولكن لأنهم عرفوا أن مصلحتهم من تجارة أو صناعة ونجاح أعمالهم في الحياة الدنيا في الالتزام بتلك التعاليم، فإذا كنت تاجرًا مثلًا، فإن سمعة تجارتك ونجاحك فيها مرتبطة بالصدق والأمانة واحترام المواعيد ليس من أجل الثواب والخوف من العقاب فحسب، وتنسب المقولة التالية لابن القيم: "حيث وُجِدَت المصلحة فَثَمَّ شرع الله"، وقد شَكَّكَ فيها البعض،[1] ووجد أن الأنسب والذي يتفق مع كلامي أن نعكس العبارة، أي تكون كالتالي: "حيث وُجِدَ شرعُ الله فثمَّت المصلحةُ". سواءً اكتشفنا علميًا هذه المصلحة أو لم نكتشفها بعد، ولكن بالتأكيد الأبحاث المستقبلية ستكشف ذلك.

(1) من موقع ملتقى أهل الحديث الإلكتروني.

ومما يثبت أن تعاليم الدين تصب في مصلحة الفرد -في الدنيا أيضًا ليس في الآخرة فقط- أن الإسلام نهانا عن الإسراف في الطعام والشراب مع كونه مباحًا، ففهم البعض أن ذلك من أجل الثواب فقط، ولكن ثبت علميًا أن الإكثار من بعض الأطعمة يؤدي للإصابة بأمراض مثل النقرس وقرحة المعدة وغيرهما. قال -تعالى-:

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف:31)

ورد في صفحة الموقع التالي: "وفي رأيي القاصر أن العبارة أينما وجدت المصلحة فَثَمَّ شرع الله خاطئة وخطيرة من وجوه:

1- قولك المصلحة الحقيقية لا تخالف الشرع: من يستطيع أن يعرف المصلحة الحقيقية؟ والله يقول: "وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم".

2- مصلحة الفقير قد لا يكون فيها مصلحة الغني.

3- تطبيقها يجعل العاملين في الحقل الإسلامي -خاصةً السياسيين- غير محتاجين لفتوى العلماء في مستجداتهم وهذا خطير، كذلك

قال الشيخ (سليمان الخراشي) في المجموعة السادسة من (نظرات شرعية في فكر منحرف): "الانحراف التاسع عشر: قوله: "إذا وُجِدَت المصلحة فَثَمَّ شرع الله"(ص475). والصواب أن شرع الله يؤخذ من القرآن والسنة؛ لأن المصلحة أمر غير منضبط، فما يكون مصلحةً عند شخص قد يكون مَضَرَّةً عند آخر. بل قد يتفق بعض الناس على تحليل ما حَرَّم الله بدعوى المصلحة. كأن يحللوا الربا لأن فيه مصلحة، وكذا الخمر والزنا.. إلخ".

أمثلة للفوائد الطبية لبعض تعاليم الدين[1]:

من فوائد الوضوء الطبية:

(أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية؛ لأن الوضوء يكفل إزالتها قبل أن تتراكم بكميات تمكنها من النفاذ والتسرب من الجلد إلى داخل الجسم).

من فوائد الصلاة الطبية:

(عندما جاء طبيب عظام فرنسي كبير في إجازة إلى القاهرة، وفي خلال جولاته بين مساجد القاهرة؛ اكتشف علاجًا جديدًا لآلام الظهر، العلاج هو تأدية حركات الصلاة الإسلامية خمس مرات في اليوم، وقَرَّرَ أن عملية السجود والركوع تعمل على تقوية عظام الظهر وتليين فقراتها، ومنذ ذلك الحين والسياح الأجانب يحاولون رؤية الصلاة واتباعها؛ من أجل الحفاظ على قوة عظام السلسلة الفقرية).

من فوائد الصيام الطبية:

(في ألمانيا أُقِيمَت دور للصحة والعلاج تتبع في طريقتها في العلاج الصوم الذي تفرضه على النزيل لفترة تزيد على عشر ساعات، ويُطَبَّق هذا النظام لمدة متتابعة ومتتالية حوالي أربعة أسابيع بما يشبه الصوم الإسلامي في شهر رمضان). هذا، وأود أن أقول إنه بعد تعود الفرد على الطاعة فإنها ستكون بالنسبة له مثل الطعام والشراب يمارسها من تلقاء نفسه؛ لأنه واثق أنها لمصلحته.

---

(1) كتاب (الإعجاز العلمي في الإسلام) القرآن الكريم - تأليف محمد كامل عبد الصمد (293،295،299).

فعل الخير والطاعات ليس تفضلًا:

وإنما هو رجاحة عقل وسعي للمصلحة لأنه ليس دون مقابل؛ لأن من يقرض الله قرضًا حسنًا يضاعفه له.

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (البقرة 245)

الطاعة ليست في الأحوال المثالية فقط:

نَظَّم الإسلام علاقة البشر ببعضهم، ووضع لها قواعد أساسية؛ فأمر ببر الوالدين وصلة الرحم، ونهى عن الهجر، ويعتقد البعض أن هذه القواعد قائمة فقط في الأحوال المثالية، بمعنى أن بر الوالدين مثلًا مطلوب فقط في حالة أن الوالدين عادلان أو مستجيبان لطلبات الابن، أو فقط عندما يكون الأب والأم ملتزمان بتعاليم الدين من صلاة وصيام وزكاة.. إلخ، وإذا ابتعد أحد الوالدين أو كلاهما عن الحالة المثالية كأن ظلم الابن، أو قَصَّر في حقه أو حق الله؛ فيظن الابن أن له أن يقابل الظلم بالمثل؛ فيخاصم أباه أو أمه، معتقدًا أن ذلك من حقه، كما أن المثالية الكاملة غير موجودة أو قليلة بين البشر. وجدير بالذكر أن بر الوالدين أو صلة الرحم أو علاقة الإنسان بغيره، أو عمومًا الاختبارت التي يختبرنا الله بها تتفاوت في السهولة والصعوبة من إنسان لآخر، فصلة الرحم مثلًا قد تكون مطلوبةً من الإنسان في عائلة مترابطة، وقد تكون مطلوبة في عائلة داخلها نزاعات قضائية، وقد تكون مطلوبة من إنسان مظلوم نحو من ظلموه، ولا شك أنه كلما كان الاختبار أصعب على الإنسان كلما كان ثواب الطاعة أوفر إذا أطاع الله.

إن الله -سبحانه وتعالى- يختبرنا بجعل ظروفنا تنحرف قليلًا عن الصورة المثالية، فمثلًا يجعل والدتك تثير أعصابك دون قصد فتنسى أن تضع الملح في الطعام، أو زوجتك تنسى قميصك تحت المكواة بعض الوقت فتناله بعض الحروق، أو والدك يرفض أن يشتري لك الهاتف الجوال الذي تحلم به، أو صديقك يتأخر في السؤال عليك؛ ليختبر الله حسن ظنك بالناس، ويستغل الشيطان مثل هذه الأحداث جيدًا ليجعلك تثور وتغضب؛ فتعق أمك أو أباك، وتجرح مشاعر زوجتك، أو تسيء الظن بصديقك.. إلخ. إن المشكلة -أخي القارئ- ليست في أخطاء الآخرين، ولكن في ردود أفعالنا نحو هذه الأخطاء، فلنتعلم أن نعذر الآخرين على هفواتهم وانحرافاتهم عن الصورة المثالية، ولنعلم أن ذلك لحكمة عند الله، وإذا أخطأ أحد ما في حقك فَتَذَكَّر أن ذلك اختبار لك من الله، فتمالك أعصابك، والزم الحلم والعفو والرضا. وتشمل اختبارات العباد كل ابتعاد عن الصورة المثالية عمومًا، وليس فقط مع البشر، فمثلًا ليست كل البلاد بها المساجد منتشرة في كل منطقة كما هو في الوضع المثالي في بلادنا الاسلامية، وإنما توجد بلاد الذهاب للمسجد فيها يعتبر عملًا شاقًا ويستغرق وقتًا طويلًا، بينما قد يكون مسكن أحدنا بجوار المسجد مباشرةً، أي إنه لكل إنسان اختبار يتفاوت في السهولة والصعوبة من شخص لآخر، وظروف الناس ليست كلها مثاليةً، ولكن كل إنسان عليه أن يجتاز الاختبار الخاص به بنجاح، فإذا كان اختبارك صعبًا أو أصعب من اختبار غيرك، فلا تترك الاختبار، بل اجتهد أن تجتاز الاختبار بنجاح، وكلما كان الاختبار أصعب كلما كان مستوى الشخص أعلى كما في الاختبارات الدراسية في حياتنا الدنيا، فامتحان المرحلة الثانوية أصعب من امتحان المرحلة الابتدائية أو الإعدادية، ولكن ليس معنى أن الامتحان صعب أن تنسحب وتترك الامتحان، ولنا في قصص القرآن أسوة حسنة، حيث ورد في قصة سيدنا يوسف مع

امرأة العزيز أن ظروف سيدنا يوسف في هذه القصة لم تكن مثاليةً للطاعة وإنما كانت مثاليةً للمعصية، وبالرغم من ذلك تمسك سيدنا يوسف بطاعة الله، فعلينا أن نتمسك بطاعة الله في جميع الظروف.[1]

مصدر القوة:

قد يتصور البعض أن القوة في الصحة والمال والسلطة إلى غير ذلك من صفات زائلة، ولكنها قوة مؤقتة ومحدودة بمقدار هو مقدار الصحة أو المال أو غيرهما، ولَكِنَّ القوة الحقيقية في الثقة بالله، وأن يكون الله الباقي الدائم القوي معك.

قاعدة تقييم الأفكار:

"لتقييم أي فكرة جديدة تخص فئةً معينةً من الناس، نفترض صحتها من كل أفراد هذه الفئة، فإذا فسد الحال فالفكرة تكون خاطئةً".

تطبيق القاعدة على فكرة:

أن يقف سائق السيارة أثناء القيادة بسياراته لأداء الصلاة ثم يستكمل القيادة بعد ذلك، بتطبيق هذه الفكرة على كل السيارات في الطريق لَتَعَطَّل الطريق، ونستنتج من هذا أن الفكرة خاطئة، والواقع أن هذه القاعدة مفيدة عمومًا لمعرفة أن سلوك ما سليم أو خاطئ، فالسرقة مثلًا كسلوك -إذا كنا لا نعرف حكمها في الشرع- نفترض أنها مباحة لجميع الناس، وطبعا عندها لا يستقيم حال المجتمع، بل سيتحول لغابة، إذا فهي سلوك خاطئ، وهكذا.

---

(1) انظر أيضًا: (قواعد مفيدة لعدم الاعتراض) في الفصل الثانى من الباب السادس من هذا الكتاب.

obeikan.com

حكَم متواضعة:

هذه بعض الحِكَم من تأليفي، كتبتها من تجاربي الشخصية، كل حكمة منها لها قصة من واقع حياتي الشخصية، أتمنى أن يستفيد منها غيري كما استفدت أنا منها:

- الجهل والمعرفة يشبهان العطش والارتواء، الفرق بينهما كبير، ولكن الانتقال بينهما بكوب ماء.

- فرق بين داخل المكان وخارجه، ولكن الانتقال بينهما بخطوة.

- مصلحتك فيما هو صواب، فلا تبحث عنها بعيدًا، ولا يجعل الله مصلحة العبد في معصيته -تعالى-.

- إذا حصلت على ماتريد فانتظر تحصيل الثمن.

- لا تسأل شخصًا لم يقع كيف يكون النهوض.

- في الحياة كما في لعب الورق، يوجد أناس يكرهوننا يغشون في الورق لنخسر، وآخرون يحبوننا يغشون في الورق لنربح، ونحن في الحالتين لا نشعر بهم.

- من السذاجة أن تسأل بائعًا عن جودة سلعته.

- ليس بالضرورة إذا وجدت بابًا أنه سيكون مفتوحًا.

- استشعر السعادة الآن، أو انتظر حتى تفقدها لتشعر بها عندئذ.

- النفس الراضية تشبه الكوب السليم، فحتى إذا وضعت فيه قطرة واحدة ستظهر فيه، بينما الكوب المثقوب مهما ملأته لا يظهر فيه شيء.

- لن تدرك معنى المصيبة حتى تصاب.

openkan.com

- اشكر واستغل ما في يدك قبل أن تطلب المزيد.

- إن التفاوت في درجات الجنة ناتج عن التفاوت في أفعال العباد.

- الصدفة عند العبد حكمة عند الرب.

- لا تنتظر حتى تلدغك الحية لكي تبتعد عنها.

- الحق قوة، والقوة في الحق (هذا في وجود شهود وقانون). فمثلًا إذا أمسك موظف صغير على رئيسه في العمل مستندًا يثبت مخالفته؛ أصبحت القوة مع الموظف الصغير أيضًا، ولو صدمت سيارة فارهة صبيًا فقيرًا؛ لأصبحت القوة مع الصبي الفقير -طبعًا في وجود الشهود والقانون-؛ ولَفَعَلَ صاحب السيارة كل ما يطلبه الصبي الفقير في سبيل التنازل عن المحضر.

<u>سنن الحياة</u>

إن الحياة تتصف بـ، وتحتوي على عناصر وقواعد أساسية ولازمة فيها لا يمكن أن تخلو من أحدها؛ لذا يجب على الإنسان أن يتوقعها ويضعها في حسبانه ويكيف نفسه عليها ولا يجزع منها، وهذه العناصر هي:

1- الاستغراق أو الزمنية أو الوقتية (أي عمل يحتاج وقتًا حتى يبدأ في الحدوث، ويستغرق زمنًا حتى ينتهي، وهذا الوقت ليس غريبًا أن يكون طويلًا في كثير من الأحيان، لذا يجب على الإنسان الصبر والانتظار حتى يحصل على ما يريده).

2- الفناء (إن الإنسان مصيره الوفاة هَرَمًا أو مرضًا أو في حادث أو بالانتحار.. إلخ، فلا تجزع لوفاة إنسان، وتوقعها نهايةً لكل إنسان).

3- المرض للإنسان والبلاء للأشياء (لا تجزع إذا أصبت بمرض أو جرحت يدك.. إلخ، فهذا شيء طبيعي ومن سنن الحياة).

4- الحَدِّيَّة (كل عمل أو إنجاز له حد أقصى، والأكل والشرب له حد أقصى، والمال له حد أقصى.. إلخ).

5- النقصان وعدم الكمال (طبيعي أنك تريد أن تشتري شيئًا مثلًا ولا يكتمل معك ثمنه، فلا يجب أن تندهش أو تتعجب لذلك، والكمال لله وحده).

6- الخطأ والسهو (إذا أخطأت في عمل فلا تحزن، لأنه جل من لا يسهو).

7- عدم تحقق كل مراد الإنسان (الحكمة تقول ليس كل ما يتمناه المرء يدركه).

8- الحاجة الدائمة والمتجددة للطعام وللمال وللعمل وللعلاج (أنت محتاج كل شهر أن تدفع إيجار شقتك وتدفع اشتراك الهاتف.. إلخ، ولذلك تحتاج لعمل دائم أو مصدر دخل متجدد، وأيضًا أنت تجوع باستمرار وتحتاج أن تأكل، ولا يمكن أن يتوقف فرد عن الأكل أو إنفاق المال).

9- التَّعَلُّم (كل مهارة يصل إليها الإنسان لابد وأن يسبقها تَعَلُّم، لذلك احرص دائمًا على أن تتعلم شيئًا جديدًا؛ لأن التَّعَلُّم من سنن الحياة).

10- الاتصال (يحتاج الناس للاتصال ببعضهم بوسيلة اتصال كالكلام أو الإشارة).

11- الانتقال والحركة (يحتاج كل إنسان لوسيلة انتقال ذاتية كقدمه، أو خارجية، ولا أعرف إنسانًا بقي في مكان ولادته حتى موته).

12- التغيير والتغير (إن الغني من الممكن أن يقل ماله، والفقير من الممكن أن يغتني، والحب من الممكن أن يتحول إلى كره.. إلخ، فأيضا لا يجب أن يندهش الإنسان أو يحزن لهذا التغير، وقديمًا قيل دوام الحال من المحال).

13- النمو (لا تحزن إذا تقدم بك العمر؛ لأن ذلك من سنن الحياة).

14- العبادة (من الضروري لتستقيم أحوال العباد لابد لهم من الانتظام في العبادة).

15- التدوين والكتابة (هل من الممكن أن نتصور الحياة الآن بدون كتابة! لذلك حاول أن تستعين بالكتابة والتدوين في معظم أمورك؛ لأنها سُنَّة من سُنَن الحياة، وستلاحظ الفرق بين من يُدَوِّن أموره ومن لا يدونها).

16- التحضير (الأعمال الناجحة دائمًا يسبقها تخطيط، فاجتهد أن تخطط وستلاحظ الفرق، لأنه سُنَّة من سُنَن الحياة).

17- الحوادث (إذا كنت سائرًا في الطريق وسقطت عليك قطرات من الماء، فلا تتضايق، فلا أحد ينجو تمامًا من مثل هذه الحوادث).

18- التنوع والكثرة (يوجد أكثر من لون وأكثر من نوع نبات وحيوان.. إلخ، وهنا تتجلى عظمة الخالق).

<u>نصائح مُجَرَّبَة للاستجابة للدعاء:</u>

هذه بضع نصائح مفيدة ومُجَرَّبَة لاستجابة الدعاء، عليك الالتزام بها بقدر ما تستطيع، وإذا قَصَّرَ العبد في إحداها بعد انتظامه فيها؛ حُجِبَت عنه الإجابة حتى يرجع لسابق انتظامه:

- المحافظة على صلاة الفروض الخمسة في أول وقتها.

- المحافظة على الاستغفار بعد كل صلاة.

- المحافظة على صلاة الضحى والوتر يوميًا إذا سمح وقته بذلك.

- قراءة شيء من القرآن الكريم يوميًا، والأفضل أن يكون بجوارك وأنت تقرأ القرآن كتاب لتفسير القرآن؛ لتستفيد بحيث لو خفي عليك معنى آية تقرأ تفسيرها.

- عدم المزاح الزائد عن الحد مع الآخرين، ومراجعة النفس عمومًا نحو حقوق الله والعباد.

- عدم الإسراف في الطعام والشراب.

- المحافظة على قيام شهر رمضان

- المداومة على صلاة الاستخارة وصلاة الحاجة قبل الإقبال على معظم أمورك.

مع ملاحظة أن الأمر الذي صليت من أجله صلاة الحاجة أو الاستخارة إذا لم يتم له احتمالان: إما أن يكون ليس فيه خير، والاحتمال الآخر أن يكون فيه خير، ولَكِنَّ الله أراد أن يأتي هذا الخير من طريق آخر في المستقبل.

والواقع أن شهر رمضان فيه فرصة عظيمة لاستجابة الدعاء، ينتظرها المرء من العام للعام، فعليك -أخي الكريم- طوال العام قبل بداية شهر رمضان بتحضير دعائك الذي ستدعو الله به في شهر رمضان، ويُفَضَّل أن يكون مُرَكَّزًا في شيء أو شيئين، وتدعو الله -تعالى- بهذا الدعاء في شهر رمضان بعد كل صلاة، وعند تناول الإفطار، وفي صلاة القيام، بل وكلما تذكرت الدعاء في نفسك فردده.

وتجدر الإشارة هنا للحديث الشريف التالي: "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ

مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".[2]

ونتيجة التَّقَرُّب بالنوافل ملموسة وأكيدة؛ لذا أنصح به القارئ الكريم، وسيجد أن كثيرًا من أمنياته تتحقق، وأن مشاكله تُحَلّ دون تَدَخُّلٍ منه، وسيجد أيضًا كل التوفيق والسداد والتثبيت.

<u>حل مقترح لتناقض زينون، ونقض قوله ببطلان الحركة:</u>

صادفت من خلال قراءتي -المتواضعة- لكتاب مترجم[1] لفيلسوف غربي قولًا ببطلان الحركة، وأيَّدَه ببرهان حسابي، ونَظَرًا لأني أحب الحساب والمسائل الرياضية، قمت بتحليل برهانه الحسابي؛ فلاحظت -ومن السهل على أي دارس للرياضيات أن يلاحظ- خطأ في البرهان الذي استدل به، فأحببت أن أبدي ملاحظتي للمهتمين بهذا الموضوع من الجانب الحسابي؛ لعلها تكون صحيحةً ويستفيد منها غيري.

---

(1) من كتاب: (بعض مشكلات الفلسفة) - ص (134) - تأليف: (وليم جيمس) - ترجمة الدكتور: محمد فتحي الشنيطي - مراجعة الدكتور: زكى نجيب محمود.

(2) صحيح البخاري - الرقاق (6502).

تُعْرَف هذه المعضلة بمتناقضة زينون،[1] التي أثبت بها بطلان الحركة:
لنفرض أن "أخيل" يسابق السلحفاة، وأنه يتحرك بسرعة هي ضعف سرعة غريمته، التي سمح لها بالتقدم عن نقطة البداية مسافة بوصة. ففي الوقت الذي يقطع فيه "أخيل" هذه البوصة، أي حين يصل الى النقطة التي بدأت منها السحلفاة، فان السلحفاة تكون قد تقدمت عليه بنصف بوصة، وحين يقطع "أخيل" نصف البوصة هذا، تكون السحلفاة قد سبقته بربع البوصة... الخ.

وهكذا -في نظر زينون- سيظل غريم السلحفاة عندما يقطع المسافة التي تقدمت بها السلحفاة، تكون هي قد تقدمت بنصف المسافة، وهكذا إلى ما لا نهاية، أي أن غريم السلحفاة لن يلحق بالسلحفاة أبدًا -في نظر زينون- وبالتالي تكون الحركة مستحيلة.

وإذا تكلمنا بلغة الحساب والأرقام، وجدنا أن السلحفاة تتقدم غريمها في كل مرة بمقدار متناقص عن المرة التي قبلها، ويمكن تمثيل هذا المقدار بمتوالية هندسية حدها الأول نصف بوصة، وأساسها (نصف) (1/2)، (حيث المتوالية الهندسية هي متوالية عددية يمكننا الحصول على أي حَدٍّ فيها بضرب الحد السابق له في أساس المتوالية)، وبالتالي تكون المتتالية التي تمثل المسافة التي تتقدم بها السلحفاة على غريمها هي متتالية هندسية حدها الأول (1/2)، وأساسها أيضًا (1/2)، أي تكون كالتالي:

(1/(2^n) , ... , 1/16 , 1/8 , 1/4 , 1/2)

---

(1) من كتاب (بعض مشكلات الفلسفة) - ص(134) - تأليف: (وليم جيمس) - ترجمة الدكتور: محمد فتحي الشنيطي - مراجعة الدكتور: زكي نجيب محمود.

فيزعم "زينون" على هذا أن المكان لابد أن يكون قابلًا للقسمة الى مالا نهاية، ولكن لو كان الأمر كذلك لما أمكن أن تحصى على التعاقب عدد النقط المحتلة، ذلك لأن المسلسلات التي بدأت، كما بينا، لا تنتهي. ففي كل لحظة يصل فيها "أخيل" إلى آخر نقطة وصلت اليها السلحفاة، نجد أن السلحفاة قد تحركت الى نقطة أبعد، وعلى الرغم من أن الفارق بين النقطتين ما ينفك يتناقص تناقصًا سريعًا حتى يبلغ حدا من الصغر لا نهاية له، فانه من المستحيل رياضيًا أن يصل المتسابقان الى نفس النقطة في أية لحظة.

واذا كان على "أخيل" أن يلحق بالسلحفاة، فان ذلك يكون في نهاية الثانية الاولى، ولكن العرض السابق يبين أنه لا يمكنه اللحاق بالسلحفاة.

وخلافي مع هذا الفيلسوف حول كلمة (من المستحيل رياضيًا)، وأرى أن النتيجة التي توصل إليها زينون تخالف الواقع، والخطأ هنا ليس في الحساب، بل في استخدام الحساب بطريقة خاطئة، حيث إن زينون قاس تناقص المسافة بمتوالية هندسية لا نهائية، ولم يلاحظ أن الزمن يتناقص أيضًا في متتالية هندسية تناقصية لا نهائية، بحيث يتناقص الزمن المتاح لغريم السلحفاة، ولا تصل أبدًا قيمة مجموع الأزمنة المعطاة لغريم السلحفاة بعد وصوله للبوصة الأولى لقيمة زمن وصوله للبوصة الأولى، فلو فرضنا أن غريم السلحفاة قد قطع البوصة الأولى في نصف ثانية، فإن مجموع الأزمنة المعطاة بعد البوصة الأولى لا يصل لنصف ثانية أخرى تمكنه من قطع بوصة أخرى، وبلغة الحساب فإن الزمن المقاس منذ البداية يمكن تمثيله بمتوالية هندسية تناقصية حدها الأول نصف ثانية وأساسها (1/2)، أي يكون الزمن المُقَاس كالتالي:

(... , 1/16 , 1/8 , 1/4 , 1/2) وبالتالي مجموع الأزمنة المُقَاسَة لا يمكن أن يصل لثانية كاملة، وبالتالي لا يلحق غريم السلحفاة بها.

وحل هذه المعضلة يتم بسهولة بعيدًا عن المتواليات العددية، بقوانين الفيزياء الخاصة بالمرحلة الدراسية الإعدادية أو المتوسطة (المرحلة الثانية من التعليم الأساسي).

القانون المستخدم هو كالتالي:

المسافة = السرعة * الزمن أو $L = \nu * t$

نفرض سرعة السلحفاة ν_y ونفرض سرعة غريم السلحفاة ν_x

وبما أن سرعة غريم السلحفاة تعادل ضعف سرعة السلحفاة يكون $\nu_x = 2 * \nu_y$

بما أن المسافة = السرعة * الزمن يكون $L_x = \nu_x * t$

ولكن $\nu_x = 2\ \nu_y$ إذن $L_x = 2 * \nu_y * t$

ولكن المسافة التي تقطعها السلحفاة تتقدم ببوصة إذن $L_y = 1 + \nu_y * t$

عندما يلحق غريم السلحفاة بها يكون $L_x = L_y$

إذن $2 * \nu_y * t = 1 + \nu_y * t$ ومنها $t = 1/\nu_y$

وبالتعويض $L_x = 2 * (1/t) * t = L_y = 1 + (1/t) * t = 2$

أي أن السلحفاة يلحقها غريمها في البوصة الثانية.

ومنها إذا كانت $\nu_x = 2$ فإن $\nu_y = 1$ وبالتالى $t = 1$

obeikan.com

أي أن السلحفاة يلحقها غريمها في نهاية الثانية الأولى إذا كانت سرعة الغريم بوصتين في الثانية وسرعة السلحفاة بوصة في الثانية.

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك:

ورد في سورة النساء في الآية (79):

(مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ)[1] النساء 79

وقد بحثت في بعض كتب التفاسير عن تفسير هذه الآية، وهذه نماذج مما قرأته:

- ورد في تفسير ابن كثير التالي:[1]

{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} أي: من فضل الله ومَنِّه ولطفه ورحمته {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} أي: فمن قِبَلِك، ومن عملك أنت، كما قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: 30].

- قال السدي، والحسن البصري، وابن جُرَيج، وابن زيد: {فَمِنْ نَفْسِكَ} أي: بذنبك.

- وقال قتادة: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} عقوبةً يا ابن آدم بذنبك، وهذا الذي أرسله قتادة، قد رُوِيَ متصلًا في الصحيح: "والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هَمٌّ ولا حَزَنٌ، ولا نَصَبٌ، حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله عنه بها من خطاياه".

---

(1) تفسير ابن كثير (2/363).

obeikan.com

وقال أبو صالح: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} أي: بذنبك، وأنا الذي قدرتها عليك. رواه ابن جرير).

- وورد في تفسير القرطبي:[1]

(قوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} أي ما أصابك يا محمد من خصب ورخاء وصحة وسلامة؛ فبفضل الله عليك وإحسانه إليك، وما أصابك من جَدْب وشدة؛ فبذنب أتيته عوقبت عليه. والخطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمراد أمته. أي ما أصابكم يا معشر الناس من خصب واتساع رزق فَمِن تَفَضُّل اللهِ عليكم، وما أصابكم من جَدْبٍ وضِيق رزق فَمِن أنفسكم؛ أي من أجل ذنوبكم وقع ذلك بكم).

وقد ترددتُ كثيرًا قبل كتابة هذه الفقرة؛ لأنها تتعلق بتفسير آي القرآن الحكيم الذي نُهينَا عن تفسيره بالرأي، حيث ورد في سنن الترمذي:

"حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلاَنَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الأَعْلَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ علْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".[2]

ولَكِنَّ ما شَجَّعَني على كتابتها أن تفسير هذه الآية جاء جَلِيًّا للغاية في حديث رواه (مسلم)، يقول الحديث: "وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ عَنْ هِشَامٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:

(1) تفسير القرطبي (5/285).
(2) سنن الترمذي - تفسير القرآن (3204).

مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ".[1]

حيث يُفْهَم من هذا الحديث أن مجرد الهَمّ بالحسنة له ثواب، ولكن الهم بالسيئة مع عدم القيام بها لا تُكْتَب سيئةً؛ فلذلك فإن معظم ما يحصل المسلم عليه من حسنات هو بكرم الله ورحمته بنا، ولَكِنَّ السيئات لا تُكْتَب إلا التي ارتكبها الإنسان فقط، وبالتالي تكون الحسنة التي أصابت الإنسان -أي التي حصل عليها- معظمها من الله وبكرمه، ولَكِنَّ السيئة التي أصابت الإنسان أي كُتِبَت عليه هي التي ارتكبها فقط.

والذي شجعني أيضًا على الكتابة في هذا الموضوع أنَّ من كبار علماء الإسلام مثل الإمام (أحمد بن حنبل) وشيخ الإسلام (ابن تيمية) -رحمهم الله- قد تعرضوا لمحن شديدة في حياتهم، ومن الصعب تعليل المحن التي أصابتهم أنها كانت بسبب ذنوبهم؛ لأنهم كانوا يحاسبون أنفسهم إذا تركوا يومًا أحد النوافل التي كانوا يحافظون عليها، فكيف نعزو محنهم الشديدة إلى ذنوب.)

<u>عندما ييئس الشيطان:</u>

قد ييئس الشيطان من التأثير على العبد في اليقظة وحَمْلِه على المعصية؛ فيحاول التأثير عليه في نومه عن طريق مايراه العبد من أحلام وهو نائم؛ فيزين له المعصية، ومثال لذلك: أعرف شخصًا ودودًا يحب الناس ولديه علاقات طيبة، بكل من حوله، وإذا قَصَّر أحدهم في حقه التمس له العذر، ولم يفرق

---

(1) صحيح مسلم - الإيمان (354).

سبب بينه وبين أحد من الناس. هذا الشخص ذات ليلة رأى حلمًا في نومه، حيث قابل في الحلم رجلًا لا يعرفه، وقال له: فلان -وفلان هذا من أقرب الناس إليه- يسبك في غيبتك، فاقطع علاقتك به نهائيًا، وأنت معك حق في ذلك، وهو الذي ابتدأ وحَمَلَك على قطيعته، ولكن هذا الشخص لم يلتفت لهذا الحلم لسببين: السبب الأول أن الشخص الذي طلب منه هذا الرجل في الحلم أن يقاطعه من أقرب الناس إليه، والسبب الثاني أن ما طلبه منه الرجل الذي جاءه في الحلم معصية بينة؛ لأن الهجر منهي عنه في الدين صراحةً، ولا يطلب من العبد معصيةً إلا شيطان، لذا إذا حلا لك عمل في أحد الأحلام، فإذا كان معصيةً، فتيقن أن الشيطان هو من زَيَّنَه لك.

مهارة الشيطان:

مهارة الشيطان لا تقتصر على تزيين المعصية والوسوسة بالمعصية عشوائيًا، إنما هي وسوسة مدروسة من حيث المكان والزمان وعدد الضحايا، وغير ذلك أن الشيطان لا يوسوس بالمعصية إلا في الوقت الذي يضمن فيه أكبر عدد من الضحايا وأكبر قدر من الخسائر للجميع، ولتقريب وجهة نظري سأذكر مثالًا بسيطًا للتوضيح والتقريب فقط، وهو أنك قد تمر بمناسبة سعيدة مثل نجاح ابنك في المدرسة؛ فتعقد العزم على أن تقيم احتفاليةً مصغرةً مع زملائك في العمل بهذه المناسبة في اليوم التالي لمعرفة نتيجة ابنك، وتنوي أن تكون الاحتفالية مفاجأةً، وفي يوم الاحتفالية كان المدير غائبًا، فوسوس الشيطان لأحد زملائك في القسم (بالتزويغ) من العمل بعد التوقيع بالحضور إلى ما قبل نهاية موعد الدوام بقليل، وبالتالي لم يحضر الاحتفالية التي أقمتها، فيوسوس الشيطان لك أن تسيء الظن بزميلك بأنه غير مسرور لنجاح ابنك وتعمد عدم المشاركة في الاحتفالية. أرأيت؟ لقد وسوس لك

الشيطان إساءة الظن بزميلك؛ لأنه فعل شيئًا هو الذي وسوس به أصلًا لزميلك أن يفعله، وانظروا الدقة فإن الشيطان لم يوسوس لزميلك بالتزويغ إلا في يوم احتفالية ابنك، وهكذا يستغل الشيطان أي فرصة للوسوسة بالمعصية لأكبر عدد ممكن من الضحايا في واقعة واحدة.

والمستفاد من هذه الملاحظة شيئان: الشيء الأول ألا تخالف الدين أو القانون أو الذوق، ليس لأن ذلك مذموم في حد ذاته، ولكن أيضًا لأن الشيطان قد يستغل مخالفتك لتشويه صورتك أمام الناس باختيار المكان والزمان والظروف التي تضرك، والتي يُفْهَم منها أشياء لم تقصدها، والشيء الآخر هو أنك إذا كنت شخصًا ملتزمًا بالدين والقانون والذوق في تصرفاتك، فاحرص على ألا تسيء الظن بالآخرين؛ فقد يكونوا لم يتعمدوا الإساءة إليك بالذات.

<u>نصيحتي للقارئ</u>

في نهاية كتابي هذا فإن أغلى وأثمن نصيحة أقدمها لك أخي القارئ -وسوف تعرف قيمتها يوم العرض إن شاء الله- هي ألا تقابل الإساءة بالمثل. طبِّع نفسك على الحِلْم وعلى العفو مهما كانت الإساءة، فليس معنى أن إنسانًا أساء إليك أن ترد الإساءة بالإساءة، وليس من الضرورى أن تنتصر دائمًا حتى لو كنت على حق، وأن تكون خاسرًا في الدنيا ومنتصرًا في الآخرة خير من أن تكون منتصرًا في الدنيا وخاسرًا في الآخرة، وما أجمل أن يكون الإنسان رابحًا في الآخرة! قال -تعالى-:{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (الصافات 60)

أخشى أن يضيع أحدنا أجر أعماله الصالحة وفرصة ثواب الصبر عندما يَرُدُّ الإساءة بمثلها، يقول رسولنا الكريم في حديثه الشريف: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَيَّاشٍ عَنْ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيِّ عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُجَاهِدٍ اللَّخْمِيِّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لِي: "يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ". [1]

كما أن الإسلام حَذَّرَ من قطع الرحم وحَذَّرَ من الهجر، فما بالك برد الإساءة، لأن الشخص الذي أساء إليك إما أن يكون مسيئًا فعلا، فيكفيك أنه كان سببًا في علو درجاتك في الجنة ويكفيك أيضًا ثواب العفو، وإما أنك فهمت الموضوع من وجهة نظرك التي ربما تكون خاطئةً وهو مظلوم والله سيحاسبه طبقًا لوجهة النظر الحقيقية بما يستحق فعلًا.

وقد ورد في الحديث: "حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَخْزَمَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ". [2] بالإضافة إلى أن الإساءة ورد الإساءة ما هي إلا وسوسة من عمل الشيطان، فيقول الشيطان لأحدنا: (اثأر لكرامتك، كيف تسكت لفلان بعد أن فعل بك كذا وكذا؟ افعل فيه كذا وكذا ثم اقطع علاقتك به نهائيًا؛ لأنه كذا وكذا)، ويفرح الشيطان لأنه نجح في أن يُفَرِّق بين الناس حسب خطته التي بدأها أصلًا مع الآخر الذي أساء لك أولًا، فوسوس له أن يسيء إليك وأنت تكسب سيئات، أو على الأقل تخسر ثواب كظم الغيظ، إن الرد على الظلم والإساءة لا يكون بالمثل، إنما بالأخلاق العالية والرفيعة، وأرجو

---

(1) مسند أحمد - حديث عقبة بن عامر الجهني (17915).
(2) سنن ابن ماجة - الزهد (4329).

أن تفهموا ذلك جميعًا، وعند أبي داود: "حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَجْلاَنَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ، قَالُوا: وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ؟ قَالَ: رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَالَ: عِرْضِي لِمَنْ شَتَمَنِي".[1]

فأوجب النبيُّ -صَلَّى الله عليه وسلم- أنه قد غُفِرَ له.

كما أنك إذا امتنعت عن رد الإساءة؛ ستفتح الباب للمسيء ليراجع نفسه، وقد يعتذر، أما عندما ترد الإساءة ستغلق الباب نحو المصالحة.

فإذا كنت قد أسأت إلى أحد فسارع بالاعتذار، وتَحَمَّل ألم ذلك؛[2] فإن ذل الدنيا أهون من ذل الآخرة، والذي لا يعتذر لمن أساء إليهم إما جاهل يجهل خطورة الإساءة للغير، وإما غبي يرفض ذل الاعتذار في الدنيا عِوَضًا عن ذل الآخرة، وإما الاثنان معًا وقال -تعالى-:{قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الجاثية14)

كما أنك عندما ترد الإساءة ينسى الطرف الآخر أنه هو الذي أساء أولًا، ويعتبرك أنك أنت المسيء وهو المجني عليه.

---

(1) سنن أبي داود - الأدب (4889).

(2) قال الامام (محمد أبو زهرة) -رحمه الله-: "إن إراقة ماء الوجه في سبيل الله كإراقة دم المجاهد في سبيل الله" - من برنامج للشيخ رمضان عبد المعز (برنامج الكلام الطيب) - قناة التحرير الفضائية (http://www.youtube.com/watch?v=XdxYKQwfEZA).

وصيتي لك أيضًا الحذر من شيئين هما: الحذر من البشر ومن الجهل؛[1] فإن الصعوبات والصدمات التي واجهتها في حياتي ويواجهها كل إنسان بسبب هذين الشيئين، فكثيرًا ما صُدِمتُ في أشخاص قابلتهم؛ لأن أحدًا لم يحذرني من الآخرين؛ فكنت أثق بالناس أكثر من اللازم، فإذا لم تحترس من البشر فلا تَلُومَنَّ إلا نفسك إذا صُدِمْتَ في شخص، والحذر من الناس لا يكون بهجرهم أبدًا؛ حيث نهى الإسلام عن الهجر،[2] ولكن يكون الحذر بتوقع جميع الاحتمالات من الخير والشر من تصرفهم نحوك، والاستعداد لكل احتمال، ويجب أن تعلم أخي القارئ أن الشر في البشر لا يرحم مريضًا أو ضعيفًا، كما أن النصب لا يرحم فقيرًا أو محتاجًا. أما الجهل فأكثر أخطاء الناس تأتي من الجهل، ولا سيما الجهل بالدين، لا يعرفون الخطأ من الصواب في كل تصرف، وماذا ينبغي وماذا لا ينبغي، فأتمنى ألا يصادف القارئ مواقف أليمةً بالحذر من هذين الشيئين. إن مواجهة الحياة وخوض صعابها بدون علم-سواء العلم الديني أو العلوم عمومًا- أشبه بالسقوط في البحر دون تعلم السباحة؛ ستكون النتيجة بالطبع هي الغرق، وما أشد وأصعب الغرق في بحار الحياة!

وإذا كان ينبغي على الإنسان الحذر من البشر، فعليه من باب أولى الحذر من الشيطان الذي يوسوس للبشر، مستخدمًا طريق الإقناع بالباطل، فمثلًا يقول لأحدنا: فلان أساء إليك؛ إذن اهجره؛ لأنه يستحق الهجر، وأنت معك الحق في ذلك؛ لأنه هو الذي بدأ، بينما عندما تقرأ في السنة النبوية الشريفة، تُفَاجَأ أن ما طلبه منك الشيطان قد يكون جزاؤه النار وبئس المصير، والذي يُسَهِّل على

(1) عرفت أن الجهل أعظم سبب للمعصية في الباب الثاني (الأسباب) من هذا الكتاب.

(2) انظر بند (الهجر) – نهاية الفصل الثاني من الباب السادس من هذا الكتاب.

الشيطان التأثير في العباد الجهل بالدين؛ لأن العبد لا يعلم حكم ما يأمره الشيطان به هل هو حلال أم حرام.

وإذا كانت الصلاة كما أتصور هي الخطوة الأولى في طريق الإيمان، فإن الخطوة الثانية هى اجتناب الكبائر، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع"، وصدق والله ابن عباس،[1] مع ملاحظة أن الإصرار على الصغيرة يعده العلماء كبيرةً،[2] وقيل أيضًا إنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار،[3] وأوصي وأنصح القارئ الكريم بقراءة كتاب عن الكبائر، وستجد أنه من السهل الوقوع في بعضها إذا لم نكن نعلم أنه حرام، وسوف نوفر على النشء الكثير إذا عَوَّدناهم من الصِّغَر على الصلاة أولًا، وثانيًا إذا قمنا بتنبيههم إلى الكبائر؛ كي لا يقعوا في أحدها، وأنا شخصيًا توجد نقطتي تحول في حياتي، الأولى بعد قراءة كتاب عن سكرات الموت، والثانية بعد قراءة كتاب عن الكبائر.

ووصيتي للقارئ أيضًا ألا يستصغر ذنبًا من الذنوب؛ لأن ذلك قد يكون هو السبب في إصابتي بالمرض؛ حيث إنني كان لي زميل وصديق في الجامعة من ذوي الاحتياجات الخاصة، وبعد التخرج في الكلية انشغلت عن صديقي في البحث عن عمل ثم في العمل، ولم أسأل عن صديقي بعد التخرج، وربما يكون هذا هو السبب في إصابتى بالمرض، وأن أصبح أنا أيضًا من ذوي الاحتياجات الخاصة، ولم يخطر ببالي وقتها أنه من الممكن أن أكون أنا أيضًا من ذوي الاحتياجات

---

(1) كتاب (الكبائر) للذهبي ص (2).
(2) كتاب (الكبائر) للإمام محمد متولي الشعراوى ص (12).
(3) كتاب (الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب (المقدمة).

الخاصة في يوم من الأيام، وتذكرت حديث رسولنا الكريم التالي: "حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ -يَعْنِي الْخَزَّازَ- عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"،[1] وأعتقد أن عكسه صحيح أيضًا، أي لا تحقرن من الذنوب شيئًا.

قال -تعالى-:{ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} (النور 15)

وبما أن الجهل بالدين أهم سبب للوقوع في المعصية -كما قرأت في الباب الثاني من هذا الكتاب- أوصي القارئ الكريم بالاستزادة الدائمة من المعرفة بالدين، فإذا كان ليس لديك وقت لقراءة كتاب ديني أو حضور درس ديني كل فترة من الوقت، فاحرص على مطالعة جريدة دينية أسبوعية أو مجلة دينية شهرية، أو واظب على مشاهدة برنامج ديني في إحدى الفضائيات، خصوصًا البرامج التي تستقبل أسئلة المشاهدين ويجيب عنها ضيف البرنامج، ولا أتكلم هنا عن الثواب اليقيني لهذه السلوكيات، ولكن يهمني أكثر الاستفادة بمعرفة الحلال والحرام وما يهم الفرد في أمور دينه، وتَذَكَّر أن كل ما يأمرك به الدين يصب في مصلحتك في المقام الأول في الدنيا والآخرة، وأنك مسئول عن جهلك إذا كان بتقصير منك.

وليس معنى سردي للأخطاء المذكورة في هذا الكتاب أنني مثالي، وأتصف وأتمتع بكل الإيجابيات أو أخلو من كل الأخطاء والعيوب، ولكنني أحاول أن أترك كل ما ألاحظه من عيوب في نفسي، وأدعو الله -تعالى- أن يرزقني توبةً قبل الموت، وألا يتوفاني إلا وهو راضٍ عني.

---

(1) صحيح مسلم – البر والصلة والأدب (6857).

obeikan.com

ملحق

إجابات مقترحة لتساؤلات برامج القنوات الفضائيةعلى قضية الجبر والاختيار

س: هل الإنسان مسير أم مخير؟[1]

ج: طبقًا لنظرية الأسباب والدوافع موضوع هذا الكتاب، فإن حياتنا الدنيا تتشكل بصفة أساسية من أسباب ومن دوافع -أي أسباب تحقيق الأعمال (الوقت - الصحة - المكان - المال - العلم) ودوافع قيامنا بهذه الأعمال- وأي عمل لكي يتم يحتاج إلي أسباب ودوافع، وإذا توفرت لدى الإنسان الأسباب التي يتطلبها عمل معين بمقدار كافٍ يكون الإنسان مخيرًا فيه، ويعتمد شروعه في هذا العمل عندئذٍ على دوافعه نحو هذا العمل، وهل هو يريد أن يعمل هذا العمل أم لا يريد حسب اختياره، وإذا وجدت الأسباب ولم يكن لدى الإنسان دافع لتحقيق هذا العمل فهو لن يقدم عليه. باختصار: الإنسان مخير في حدود ما لديه من أسباب طبقًا لما لديه من دوافع.

مثال:

عمل كالزراعة، إذا توفر للمزارع (1- الوقت): بأن كان المزارع متفرغًا للزراعة أو لديه فلاحون متفرغون، و(2- الصحة): أي ليس لديه هو أو الفلاحين في أرضه إعاقة أو مانع صحي أو بدني من القيام بأعمال الزراعة، و(3- المكان): أي لديه

---

(1) الباب الأول من هذا الكتاب

أرض زراعية يزرعها أو يستطيع أن يستأجر أرضًا، و(4- المال): الذي سيشتري به الآلات والمعدات الزراعية وأيضا البذور والأسمدة.. إلخ، و(5- العلم): يُقْصَد به العلم الكافي بطرق الزراعة وطبيعة الأرض الزراعية.. إلخ. إذا توافرت للمزارع هذه الأسباب بمقادير كافية؛ يكون المزارع مُخَيَّرًا، ولكن في حدود هذه الأسباب ومقاديرها فقط، أي لا نستطيع أن نلومه إنه لم يزرع برتقالًا إذا كانت تربة أرضه لا تصلح لزراعة البرتقال، أو امتنع أي سبب آخر من أسباب زراعة ثمرة البرتقال، أي إنه كان مُسَيَّرًا عندئذ، لكن إذا اكتملت أسباب زراعة البرتقال، وقام المزارع بزراعة نوع آخر من الثمار فإن ذلك يكون باختياره وهو لا يريد زراعة البرتقال، أي ليس لديه دافع لزراعة البرتقال.

والله -سبحانه وتعالى- يحاسبنا على حسب ما لدينا من أسباب فقط، وفي حدود هذه الأسباب، فالفقير الذي لا يملك نفقات الحج لا يحاسبه الله على عدم أدائه فريضة الحج، وهكذا.

وهكذا أي عمل إذا توفرت أسبابه يكون الإنسان مخيرًا فيه، وإذا انعدم أحد الأسباب (بغير تقصير منه) يكون مسيرًا في ألا يتمه.

إذا كان انعدام أحد الأسباب بتقصير من الإنسان، يكون الإنسان غير مسير في عدم إتمام الفعل، ولكنه لا يريد هذا العمل؛ فأهمل الأسباب الممكنة له.

إن الإنسان -بلا شك- ليس بمخير تمامًا، وإلا لاختار الجميع أن يكونوا أغنياء وأصحاء.. إلخ،

ولكنه مخير في حدود، أي حدود ما أعطاه الله من أسباب.

س: لماذا يُحَاسَب الإنسان إذا كان الإنسان مُسَيَّرًا؟

ج: كما قلت، الإنسان ليس مسيرًا، ولكنه مخير في حدود، ومحاسب على قدر هذه الحدود فقط، قال -تعالى-: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة 286)

س: هل عبارة: "ما تسقط شعرة إلا بإذن الله" صحيحة؟

ج: توجد مقولة للإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول -رضي الله عنه-: "والله ما هبطنا واديًا ولا علونا جبلًا إلا بقضاء الله وقدره"[1](أي إن كل عمل يتم بقضاء الله وقدره)، وهذا صحيح؛ لأن كل عمل يحتاج إلى تسبيب أسباب أولًا، والأسباب بيد الله، إذن فكل عمل يتم بقضاء الله وقدره.

وفي عبارة: (ما تسقط شعرة إلا بإذن الله)، فإن الشعرة لكي تسقط تحتاج أولا أن توجد، وهذا شيء بيد الله موجد جميع المخلوقات، إذن فالشعرة لا تسقط إلا بإذن الله.

س: هل كان يهوذا مُسَيَّرًا أم مُخَيَّرًا في واقعة الصَّلْب؟

ج: طبقًا لنظرية الأسباب والدوافع موضوع هذا الكتاب، فإن أي عمل لكي يتم يحتاج توافر أسباب القيام به بدرجة كافية، ويكون الإنسان مخيرًا بعد اكتمال هذه الأسباب، وفي واقعة الصَّلْب -وهي مختلفة الأحداث في المسيحية عنها في الإسلام ولكن هذا ليس موضوعنا -اكتملت الأسباب ليهوذا، وهذه الأسباب هي الشيء المكتوب، أما استخدامه لهذه الأسباب -ما يُسَمّى الأخذ بالأسباب- لتسليم المسيح، فكان يهوذا مخيرًا فيه. والمتأمل لأحداث هذه الواقعة يجد أن

---

(1) الجبر والاختيار في الفكر الإسلامي – د/ أشرف حافظ) ص (90).

السبب أو العنصر الرئيس فيها هو عنصر العلم (بكيفية تسليم المسيح)، في الواقع يهوذا كان مُخَيَّرًا فيما فعله لاكتمال الأسباب، وأهمها سبب أو عنصر العلم الذي أعطاه لليهود، ولَكِنَّ الله هو الذي جعله مُخَيَّرًا في ذلك بأن وَفَّرَ له أسباب التَّمَكُّن من هذا الفعل وكما قلت -في كتابي هذا- فإن قدر الله داخل في كل الأعمال؛ لأنه -سبحانه- مسبب الأسباب ومعطي الأسباب للإنسان؛ اختبارًا له.

س: ما هو دور الإنسان؟

ج: يتساءل الناس إذا كان الله -سبحانه وتعالى- قَدَّرَ كل شيء، فما هو دور الإنسان في هذه الحياة؟ وعلام سيحاسب؟ طبقًا لنظرية الأسباب والدوافع موضوع هذا الكتاب، فإن الأفعال أو الأحداث جميعها قسمان: قسم بيد الله هو خلق أو تسبيب الأسباب، وقسم يقوم به البشر وهو الأخذ بالأسباب حسب دوافعه، ويوجد دور آخر يقوم به الله -سبحانه وتعالى- هو إنتاج النتائج، فإذا كان الإنسان يأخذ بالأسباب كأن يحرث المزارع الأرض، فإن الله هو الذي يجعل الأرض تنبت والأشجار تثمر.. إلخ. والدور الذي يؤديه الإنسان في الحياة ويحاسب عليه ما فيه اختيار له، وهو الأخذ بالأسباب المتاحة له، وتصفية وتنقية نفسه من الدوافع التي تتسم بالشر وتنمية دوافع الخير؛ لأن الأخذ بالأسباب يعتمد بصفة أساسية على الدوافع لدى الإنسان.

س:ما هو هدف الإنسان في الحياة؟

ج: طبقًا لنظرية الأسباب والدوافع موضوع هذا الكتاب، فإن هدف الإنسان هو إشباع دوافعه، [1] والحصول على أكبر قدر من الأسباب لتحقيق هذا الإشباع،

(1) انظر الباب الثالث (الدوافع).

سواءً كان الدافع نبيلًا مثل الإيمان وحب الخير، أو كان الدافع ماديًا مثل دافع الحصول على السلطة.

س:ما سبب الابتلاءات؟[1]

ج: إن الله يبتلي الإنسان بالابتلاء الذي يقيس إيمانه وصفاته ودوافعه، ويبرزها ليجازيه عليها، فعندما تظهر صفة من صفات الإنسان كرد فعل لابتلاء ما؛ تُسَجَّل له أو عليه في صحيفته، ويحاسب عليها في الآخرة، ولا يستطيع إنكارها عندئذ.

قال (عليه الصلاة والسلام): "يُبْتَلَي الْعَبْدُ على قَدْرِ دِينِهِ ذَاكَ، فَإن كان صُلْبَ الدِّينِ؛ ابْتُلِي على قَدْرِ ذَاكَ، وَإن كان في دِينِهِ رِقَّةٌ؛ ابْتُلِي على قَدْرِ ذَاكَ، فَمَا تَبْرَحُ الْبَلَايَا عَنِ الْعَبْدِ حَتَّي يَمْشِي في الأَرْضِ وَمَا إن عليهِ مِنْ خَطِيئَةٍ".[2]

أي أن الابتلاء لقياس الإيمان، وللتفرقة بين المؤمن وغير المؤمن في الجزاء، ولزيادة أجر الصابرين بإعطائهم فرصةً أن يظهر صبرهم بتعريضهم لمحن.

س: ما هو القضاء والقدر؟ وإذا كان القدر مكتوبًا قبل أن نولد فلماذا العمل؟

ج: الجواب هو أن القضاء والقدر المكتوب ليس كله حتميات جبريةً، ولكنه ثلاثة أنواع[3] وليس نوعًا واحدًا حتميًا وجبريًا، فقد يكون القضاء والقدر:

1- حتميات: قد يكون القضاء والقدر شيء حتمي ليس للإنسان دخل فيه، مثل

---

(1) انظر الفصل الرابع من الباب الأول تحت عنوان: (أساس الابتلاء).

(2) مسند الإمام أحمد (1575).

(3) انظر الفصل الأول من الباب الأول تحت عنوان (أنواع القدر).

البلد الذي وُلِد فيه الإنسان، وكل الأشياء التي لا اختيار له فيها، مثل: شكل الإنسان، ولونه، وطوله.. إلخ.

2- أسباب فقط: وقد يكون القضاء والقدر المكتوب أسبابًا فقط (التي يجب أن يستعملها الإنسان ولا يكفي وجودها فقط لإتمام الفعل): الأسباب التي هي الوقت والمال والصحة والمكان والعلم.

مثل التعلم.. فإن القضاء والقدر فيه توفير الأسباب فقط (من وقت وكتب ومعلمين وأدوات دراسية.. إلخ). وعلى الإنسان استعمال هذه الأسباب، ومثل الزراعة.. قد يتوفر للمزارع الأرض والبذور.. إلخ، فيجب عليه استعمال هذه الأسباب ليزرع الأرض.

3- قوانين أو شروط: وقد يكون القضاء والقدر المكتوبان قانونًا أو شرطًا، مثل الماء كشرط من شروط الحياة للإنسان، والإيمان كشرط دخول الجنة.. إلخ.
{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }(الانبياء 30)

فبالتالي إن القضاء والقدر المكتوب قد يكون أسبابًا يجب على الإنسان أن يستعملها لتحقيق مراده، وقد يكون شرطًا لتحقيق شيء ما، فيجب على الإنسان تحقيق هذا الشرط؛ لتحقيق الشيء الذي يتطلب هذا الشرط.

أي أن القدر المكتوب ليس حتميات فقط، وإجابة السؤال: (<u>لماذا العمل للإنسان؟</u>)[1] <u>فالجواب لأنه</u> يكون لنوعي القضاء والقدر الأخيرين، أي للأخذ بالأسباب، ولتحقيق الشروط التي وضعها الله لتحقيق الأشياء.

---

(1) انظر الفصل الرابع من الباب الثالث تحت عنوان: لماذا العمل؟

س: لماذا خلق الله الإنسان؟

ج: يشمل هذا السؤال شيئين هما: الحكمة من خلق الإنسان، ومراد الله من الإنسان، فكل شيء يفعله الله يكون لحكمة بلا شك وليس عشوائيًا، وإذا كانت هذه الحكمة خافية علينا، فإن ذلك لا يعني أنها غير موجودة، والإنسان علمه محدود جدًا بالنسبة لعلم الله، قال -تعالى-: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (الاسراء 85)

والحكمة من خلق الإنسان في رأي المؤلف -في ضوء السنة الشريفة- نستنتجها من الحديث التالي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "أَيَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إذا ضَلَّتْ مِنْهُ ثُمَّ وَجَدَهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إذا تَابَ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إذا وَجَدَهَا".[1] أي أن الحكمة هي أن الله -سبحانه وتعالى- يفرحه أن يرى مخلوقاته مطيعةً ومستجيبةً لخالقها، ولكن لكي يفرق الله بين المطيع وغير المطيع والمستجيب وغير المستجيب من البشر، من أجل ذلك وضع -سبحانه وتعالى- منهجًا، وأرسل رسلًا توضح هذا المنهج، وكان مراده من الإنسان اتباع المنهج الذي وضعه -سبحانه وتعالى- وأداء عبادة الله المطلوبة؛ ليجازي كلًّا بعمله قال -تعالى-: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات 56)

(1) مسند الإمام أحمد (8416).

obeikan.com

خاتمة:

بعد قراءتك لهذا الكتاب.. أرجو أن تكون قد عرفت أن قضاء الله وقدره ليس حتميات فقط، وعرفت أنواع القدر، وأن تقدير الله تقدير أسباب في المقام الأول، وأنه يجب علينا الأخذ بهذه الأسباب في طريق الخير، وعرفت أن كل عمل يتم بقضاء الله وقدره، لأن كل عمل يحتاج تسبيب أسباب، والله هو مسبب الأسباب وحده، وعرفت أن الدور الأكبر في هذه الحياة التي نعيشها تلعبه الأسباب والدوافع -أي أسباب التمكن من الفعل ودوافع القيام به لدى الإنسان- وعرفت أن الإنسان مُسَيَّر في كم وكيف الأسباب المتاحة له، ومُسَيَّر في النتائج النهائية، ومُسَيَّر في رزقه وأجله، وعرفت أنه عندما تتوفر الأسباب اللازمة للقيام بعمل ما يتوقف القيام به على الدافع للقيام به لدى الإنسان، وعرفت أن هناك عاملين مساعدين على القيام بالأعمال عند توفر الأسباب اللازمة لها هما: التشجيع والتخطيط، وعرفت طريقة معرفة هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر في عمل ما، وعرفت درجات التخيير، وعرفت أن نصيبك ستحصل عليه من خلال سعيك للحصول عليه، وعرفت أن الله يسخر لنا أسباب عمل الخير وأسباب عمل الشر؛ ليرى بأيهما سنأخذ، وعرفت أن الله يبتلينا بالابتلاء الذي يقيس إيماننا، وعرفت أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا بعد بذل الوسع في الأخذ بالأسباب، وعرفت أن الحرية في القيام بعمل هي توفر الأسباب اللازمة للقيام به، وأن الحرية نوعان: فعلية وشرعية، وعرفت أن سواء الطاعة أو المعصية تتكون من قسمان: قسم أسباب وقسم أخذ بالأسباب، وعرفت أن الأسباب الرئيسة اللازمة للقيام بأى عمل هي الوقت والمكان والمادة والصحة والعلم والتوفيق، وأنه إذا كانت الأسباب المادية محجوبةً عليك بالتوجه إلى الله بالدعاء، وإذا تأخرت الاستجابة للدعاء فإن ذلك يحتمل أحد أمرين: إما أن

حرمانك من إجابة دعائك فيه خير لك، وإما أنه سيستجاب دعاؤك ولكن من طريق آخر في المستقبل. وعرفت أن الجهل هو أعظم سبب للفشل وأعظم سبب للمعصية وأن الإنسان مسئول عن جهله إذا كان ناتجًا عن تقصير منه، وعرفت أن الأسباب قد تكون لإنسان سهلةً ولآخر صعبةً لنفس العمل، وأن الأسباب قد تأتي لإنسان مُبَكِّرةً وقد تأتي لآخر متأخرةً لنفس العمل، وأن المجهود الكبير يذوب مع الدوافع القوية، وأنه لتقييم أي عمل يُنْظَر إلى الدافع من ورائه، وعرفت أن درجة اتقان الإنسان لعمله تتوقف على قوة دوافعه تجاه هذا العمل، وعرفت أن قوة دافع الإنسان في مجال معين لها دور كبير في ارتفاع ذكائه في هذا المجال، وعرفت الدوافع الرئيسة للخير وللشر، وعرفت أن الحساب بالدرجة الأولى يكون على العمل وليس على النتيجة وعرفت الدليل على ذلك، وعرفت بعض التطبيقات على نظرية الأسباب والدوافع، وعرفت أنه بالنسبة للصلاة فإن الفرق بين الذي يصلي والذي لا يصلي فرق في الدافع، وأن الفرق بين مُصَلٍّ ومُصَلٍّ فرق في الدافع أيضًا، وعرفت أنه بالنسبة للمذاكرة فإن من أسرار التفوق في المذاكرة التلخيص والتسميع والمراجعة والتحضير، وعرفت أنه ينبغي على الطالب عند تحديد رغباته الدراسية عدم التأثر بشخصية يحبها، وإنما يختار حسب دوافعه واهتماماته؛ لأن أداءه فيما يحب سيكون أفضل، وعرفت أنه لا تجتمع مصلحة ومعصية في نفس الوقت، وعرفت مجموعة قواعد رئيسة في التعامل مع البشر، وعرفت كيفية تقييم البشر، وعرفت كيف تفسر الشخصية المزدوجة، وعرفت بعض الأخطاء التي من الممكن أن يقع فيها المسلم إذا كان يجهل أنها حرام وعرفت أنه ينبغي على الإنسان ألا يقابل الإساءة بالإساءة، وعرفت أنه ينبغي عليك الحذر من شيئين من البشر ومن الجهل، وعرفت أن أول خطوة بعد الحفاظ على الصلاة هي اجتناب الكبائر، وأرجو أن أكون قد ساهمت بكتابي المتواضع هذا برغبة

صادقة في إصلاح المجتمع ورسم حياة أفضل للجيل الجديد؛ ليكون حظهم أوفر من حظوظنا، وقد حرصت أن يكون كتابي هذا صغيرًا؛ حتى لا يأخذ وقتًا طويلًا في قراءته، وحتى يقرأه أكبر عدد ممكن من الناس، وأرجو أن يستفيد الشباب من هذا الكتاب، وأن يكون عونًا لهم في حياتهم، وأن يكون سببًا في تقليل آلامهم في الدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikan.com

obeikan.com

المراجع:

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخاري.
3- صحيح مسلم.
4- مسند أبي داود.
5- مسند الإمام أحمد.
6- سنن الدارمي.
7- سنن ابن ماجه.
8- سنن الترمذي.
9- سنن البيهق.
10- كتاب (الفتاوى من أحسن الكلام في الفتاوى والاحكام) للشيخ عطية صقر- رحمه الله-.
11- كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد) ترجمة الأستاذ أنيس منصور.
12- شرح صحيح مسلم - الشيخ حسن أبو الأشبال الزهيري.
13- ديوان شاعر النيل (حافظ إبراهيم).
14- كتاب (الإعجاز العلمي في الإسلام – القرآن الكريم) محمد كامل عبد الصمد.
15- كتاب (الجبر والاختيار في الفكر الاسلامي) د/ أشرف حافظ.
16- كتاب (مختصر تفسير ابن كثير) محمد علي الصابوني.
17- تفسير القرطبي.
18- معجم (منجد الطلاب).
19- كتاب (شفاء العليل) لابن القيم.
20- كتاب (الكبائر) للذهبي.

obeikan.com

21- كتاب (الكبائر) للشيخ الشعراوي.
22- كتاب (الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
23- موقع (ويكيبديا) الإلكتروني على الإنترنت.
24- موقع (ملتقى أهل الحديث) الإلكتروني على الإنترنت.
25- موسوعة (القواعد الفقهية) محمد صدقي بن أحمد البورنو أبو الحارث الغزّي.
26- القاموس الوسيط.
27- مجموعة فتاوى أجاب عليها موقع (الإسلام فتوى) الإلكترونى على الإنترنت - إشراف الشيخ الدكتور صالح الحساوي.
28- مجموعة فتاوى أجاب عليها موقع الشيخ الدكتور حامد العلي الالكترونى على الإنترنت.
29- مجموعة فتاوى أجاب عليها موقع المسلم الإلكترونى على الإنترنت.
30- برنامج الكلام الطيب للشيخ رمضان عبد المعز- قناة التحرير الفضائية.
31- كتاب (بعض مشكلات الفلسفة) تأليف: وليم جيمس - ترجمة الدكتور: محمد فتحي الشنيطي - مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود.
32- المنتخب من وصايا الآباء للأبناء - وائل حافظ خلف.
33- شعب الإيمان - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي.
34- كتاب المنامات لابن أبي الدنيا.

obeikan.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"

obeikan.com

obeikan.com

إصدارات موقع دار الكتب:

1- قبل أن أموت

2- فتاة شرقية.

3- كاتيا.

4- لوزة قطن.

5- حياة وحنين

6- الوهم.

7- الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.

8- تاريخ مصر الفرعونية

9- ديوان البت سعاد.

10- الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي

11- الموعد

12- اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها

13- عائدون من بين الانقاض

14- حذاء جديد

15- حلقات مفرغة

16- يوميات طبيب في وطن مسلوب

17- أصحاب الكرش

18- جئت ورحلت

obeikan.com

19- سخصية مصر

20- ديور... ابن الحرب

21- رجل مدخر

22- ليلة فى الرنفة

23- استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك

24- يوميات مع نفسى

25- سلسلة القائد المتوازن.

26- يوميات واحد فيس بوكاوى

27- نصف انسان

28- اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikan.com

الفهرس

إهداء ــــــــــــــــــــــــــــــــــ 5

مقدمة ــــــــــــــــــــــــــــــــــ 7

الباب الأول (نظرية الأسباب والدوافع)ــــــــــــــــ 11

الفصل الأول (تمهيد النظرية).ــــــــــــــــــ 13

(أنواع القدر)ــــــــــــــــــــــــــــ 15

(معنى نظرية)ــــــــــــــــــــــــــــ 19

الفصل الثانى (فروض النظرية)ــــــــــــــــــ 21

(إجابة سؤال هل نحن مُسَيَّرون أم مُخَيَّرون)ــــــــــ 26

(درجات التخيير)ــــــــــــــــــــــــــ 26

الفصل الثالث (دروس مستفادة)ــــــــــــــــــ 29

الفصل الرابع (تعليق على النظرية)ــــــــــــــ 31

(نصيبك مخبأ في سعيك)ــــــــــــــــــــ 32

(لماذا الخير والشر؟)ــــــــــــــــــــــ 32

(أساس الابتلاء)ــــــــــــــتــــــــــــ 33

(مفهوم الحرية)ــــــــــــــــــــــــــ 36

(ماذا بعد الأسباب والدوافع؟)ـــــــــــــــــ 37

الفصل الخامس (الفرق بين السعي والعمل والكسب)ــــــــ 39

(الفعل والكسب)ـــــــــــــــــــــــــ 40

الباب الثاني (الأسباب)ــــــــــــــــــــــ 41

الفصل الأول (أنواع الأسباب)ــــــــــــــــــ 43

(الأسباب المادية)ـــــــــــــــــــــــــ 43

(الأسباب غير المادية)ــــــــــــــــــــــ 45

(أعظم سبب للمعصية)_____ 45
(قاعدة الاستدراج)_____51
(الأسباب بين السهولة والصعوبة)_____51
(الضلال)_____52
الفصل الثاني (دروس مستفادة)_____53
الفصل الثالث (معادلة الطاعة والمعصية) _____55
الباب الثالث (الدوافع)_____57
الفصل الأول (قواعد أساسية)_____59
(قاعدة الشعور)_____59
(قاعدة التقييم)_____60
(قاعدة الإتقان)_____60
(الذكاء والدوافع)_____60
الفصل الثانى (أنواع الدوافع)_____56
(دوافع الخير)_____65
(دروس مستفادة)_____54
(دوافع الشر)_____54
الفصل الثالث (دخول الجنة أسهل من الدخول في موسوعة جينيس) ___69
الفصل الرابع (دوافع الطاعة)_____73
(لماذا العمل؟)_____75
الباب الرابع (بعض تطبيقات نظرية الأسباب والدوافع)_____77
الفصل الأول (الصلاة والاختيار)_____79
الفصل الثانى (المذاكرة والاختيار)_____83
(نصيحة للطلبة عند تحديد الرغبات)_____86

obeikan.com

الفصل الثالث (الزواج والاختيار)_____89
الفصل الرابع (نهضة الأمم)_____93
الباب الخامس (قضية تقييم البشر)_____97
الفصل الأول (القواعد الذهبية)_____99
الفصل الثانى (العوامل الجوهرية)_____107
(الاحتكاك المالي)_____109
(احتكاك المصلحة)_____110
(العشرة الطويلة)_____111
الفصل الثالث: (العوامل الظاهرية)_____113
الفصل الرابع: (حول الشر)_____117
(لماذا لا يجب أن نحزن من تعرضنا للشر؟)_____117
(لماذا لا يجب أن نخشى الأشرار؟)_____118
(الحكمة من الشر)_____119
الباب السادس: (الصلاة وحدها لا تكفي)_____121
الفصل الأول: (الجهل والمسئولية)_____123
(إمكانية دخول المصلي النار)_____124
(مسئوليتنا عن أخطاء غير متعمدة)_____125
(الواجب على المسلم إذا أخطأ عن جهل)_____ 127
الفصل الثاني: (نفي دخول الجنة)_____129
(قطع الرحم)_____129
(الكِبْر)_____131
(اختلاف المراتب)_____133
(الحاجة)_____134

obeikan.com

(علامات الكِبْر)_____135
(الغِلْظَة)_____136
(البخل والمَنّ)_____136
(نقص الإيمان)_____137
(غير المحب لأخيه)_____137
(المسيء لجاره)_____138
(قواعد مفيدة لعدم الاعتراض)_____139
(الهَجْر)_____142
الفصل الثالث: (دخول النار)_____145
(المتعلم للمباهاة)_____145
(المُكَذِّب بالقَدَر)_____146
(الآمر بالمعروف ولا يعمله)_____146
الباب السابع (مُتَفَرِّقَات)_____149
(الإسلام والتربية الحديثة)_____151
(الطاعة بعد نظر)_____152
(أمثلة للفوائد الطبية لبعض تعاليم الدين)_____155
(الطاعة ليست في الأحوال المثالية فقط)_____156
(مصدر القوة)_____158
(قاعدة تقييم الأفكار)_____158
(حكم متواضعة)_____159
(سنن الحياة)_____160
(نصائح لإجابة الدعاء)_____162
(حل تناقض زينون ونقض قوله ببطلان الحركة)_____164

obeikan.com

(ما أصابك من حسنة فمن الله) 168
(عندما ييئس الشيطان) 170
(مهارة الشيطان) 171
نصيحتي للقارئ 172
ملحق 179
المراجع 191

obeikan.com